بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

شعر التهاني في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري

The Poetry of Congratulations in the Abbasid period till the End of the Fourth Century

إعداد:

أحمد محمد خالد الخزاعلة

إشراف الدكتور:

عبد الرحمن العويدي

الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

ا لإ هـد ا ء

إلى والدي الحبيب، ووالدتي الغالية

وأخوتي الأعزاء

وإلى زوجتي العزيزة (أم مظفر)، وابني الغالي مظفر

أمد الله في أعمارهم

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله تعالى على توفيقه لي في إتمام هذا العمل، وأتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الدكتور عبد الرحمن الهويدي، الذي شرفني بإشرافه على هذه الدراسة، ومتابعتها بكل أمانة وإخلاص، فجهده موصول في كل مرحلة من مراحل إعداد هذا العمل، فجزاه الله خير الجزاء، وأمده بالعمر، ومتعه بموفور الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، وأخص والديّ العزيزين اللذين كان دعاؤهما خير معين في مسيرة بحثي، وكذلك إخوتي، وعائلتي،أم مظفر، وابني مظفر،اللذين صبرا وتحملا معي في مسيرتي العلمية، مهيئين لي أفضل الظروف في سبيل إنجاز هذا العمل.

الباحث

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير ..... ب

فهرس المحتويات .....د

الملخص بالعربية.....هـ

التمهيد..... ١-٤

الفصل الأول: المنحى السياسي في شعر التهاني ٥-٤٠

أ- التهاني بالبطولة والقيادة الحربية.....

١- التهنئة بفتح البلدان ٦-١٢

٢- التهنئة بالانتصارات الحربية على الأعداء..... ١٣-١٦

ب- التهاني بالمناصب والولايات .....

١- التهنئة بالخلافة..... ١٧-٢٦

٢- التهنئة بولاية العهد..... ٢٧-٣٢

٣- التهنئة بالوزارة ٣٢-٣٥

٤- التهنئة بالولايات..... ٣٥-٤٠

الفصل الثاني: المنحى الديني في شعر التهاني ٤١-٧٥

أ- التهاني بالأعياد الإسلامية .....

١- التهنئة بقدوم شهر رمضان..... ٤٢-٤٤

٢- التهنئة بأداء فريضة الحج ٤٤-٤٨

٣- التهنئة بعيد الفطر ٤٩-٥٧

٤- التهنئة بعيد الأضحى..... ٥٧-٦٢

ب- التهاني بالأعياد غير الإسلامية.....

أ- التهنئة بالأعياد الفارسية.....

١- عيد النيروز ٦٣-٧٠
٢- عيد المهرجان ٧٠-٧٤
ب- التهنئة بالأعياد المسيحية.....
١- عيد الشعانين ٧٤-٧٥
الفصل الثالث: المنحى الاجتماعي في شعر التهاني..... ٧٦-١١٠
أ- التهاني بالمناسبات الاجتماعية .....
١- التهنئة بالزواج ٧٧-٨٢
٢- التهنئة بالإنجاب ٨٢-٩١
٣- التهنئة بالشفاء من المرض ٩٢-٩٩
٤- التهنئة بالقدوم من السفر..... ٩٩-١٠٣
٥- التهنئة بالمسكن.....١٠٣-١٠٨
٦- التهنئة بالنجاة من الحوادث.....١٠٨-١١٠
الخاتمة ١١١
المصادر والمراجع.....١١٢-١١٩
الملخص باللغة الإنجليزية ١٢٠

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة شعر التهاني في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجـــري دراسة موضوعية، حيث إن التهاني لم تكن من الأغراض التي كانت العرب تـــصوغ منهـــا شعراً، حتى نضجت وازدهرت في العصر العباسي،وأصبحت باباً من أبواب التعبير عن النفس الإنسانية، لتتناول بين سطورها معاني:الصداقة، والمحبة، والإخوة .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، أما التمهيد، فتناول مراحل تطور شعر التهاني، ودلالاته السياسية والاجتماعية والدينية، بالإضافة إلـــى مفهـــوم التهـــاني وأقسامه، أما الفصل الأول فتناول الحديث عن الاتجاه السياسي في شعر التهاني، كالتهاني بالبطولات والانتصارات الحربية على الأعداء،والمناصب الإداريـــة(التهنئـــة بالخلافـــة، وولاية العهد) .

أما الفصل الثاني، فتناول الاتجاه الديني في شعر التهاني، الذي اشتمل علـــى التهـــاني بالأعياد الإسلامية، (التهنئة بقدوم شهر رمضان، وأداء فريضة الحج وعيد الفطـــر، وعيـــد الأضحى)، وكذلك الأعياد غير الإسلامية،(الأعياد الفارسية، والأعياد المسيحية).

أما الفصل الثالث، فتناول الاتجاه الاجتماعي في شعر التهـــاني، (التهنئـــة بـــالزواج، والإنجاب، والشفاء من المرض، والقدوم من السفر، والمسكن، والنجاة من الحوادث).

وقد توصلت في هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

- ازدهر شعر التهاني في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً،بفضل عوامـــل سياســـية ودينية واجتماعية .
- حمل شعر التهاني دلالات عميقة تتيح قراءة المجتمع العباسي من وجهات مختلفة: سياسية ودينية واجتماعية .
- تميل الأشعار التي قيلت في التهاني إلى الرقة والليونة والـــسهولة واليـــسر فـــي التعبير.
- إقتران كثير من التهاني بالهدايا، لما لها من أثر في إحداث المودة، وإفـــشاء روح المحبة بين الناس.

التمهيد:

الحمد لله مُبدي الأمم ومُعيدها، ومُهنئ النعم ومفيدها، ومُعطي الرغائب ومُجزلها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم _ وبعد :

فإن شعر التهاني يمثل ظاهرة جديدة في الشعر العربي، ويعد لوناً من ألوان الشعر الاجتماعي ذي الصلات والروابط التي تسهم في تماسك المجتمع، وباباً من أبواب التعبير عن النفس الإنسانية في حال فرحتها ومسرتها، فهو يتناول بين سطوره معاني : الصداقة، والمحبة، والإخوة، وهو من أجل ذلك يقرب أن يكون من أرق الإخوانيات لفظاً وألطفها عاطفة.

تعد ظاهرة التهنئة ظاهرة اجتماعية قديمة، عرفتها الأمم الأخرى وكانت لوناً من التكافل الاجتماعي المهم آنذاك، وكان للتهاني في الإسلام شأن فقد جاء في كتاب الله ما يماثل هذا المعنى ويضاهيه، ويضمن البشرى بما أتيح للسعيد من مآل الخير كقوله :((يُبَشّرُهُمْ ربُّهُمْ برحمةٍ منهُ ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ))[1].

ومع ازدهار المجتمع ونموه وتحضره، تعمق هذا اللون في الشعر العربي أكثر فأكثر حتى نضجت هذه الظاهرة (شعر التهاني) في العصر العباسي، فأصبح هذا الغرض غرضاً رئيساً من الشعر الإخواني الذي يعبر عن عواطف الإنسان ودفقاته الشعورية ومشاعره الإنسانية .

وقد ارتبطت التهاني آنذاك بشقي الأدب (الشعر والنثر) ارتباطاً وثيقاً، ليس فقط في كونه يسجل انطباعات أصحابه الوجدانية، وخلجاتهم النفسية، وإنّما لأنه ينطوي أيضا على دلالات اجتماعية، وسياسية، ودينية كثيرة، تظهر في مناسبات المجتمع على تنوعها بتنوع أجناس المجتمع العباسي بشريا، وعرقيا، وسياسيا، واجتماعيا، ودينيا .

ويمكن القول إن شعر التهاني من الأشعار التي مالت إلى الرقة، واللين، والسهولة، واليسر في التعبير، كما أنها حفلت بالتصوير والابتكار في المعاني والصور، وقد ساعدت طبيعة الحياة العباسية وما فيها من غنى سياسي، وديني، واجتماعي، على انتشار هذا اللون من الشعر وازدهاره في هذه المدة .

ونظراً لكثرة التهاني وانتشارها في المجتمع العباسي، اعتنت المصادر العربية القديمة بشعر التهاني عناية واضحة، وقد يكون دليل ذلك أن مؤلفي هذه المصادر ولا سيما كتب الأدب كانوا يفردون أبواباً، أو فصولاً، أو مباحث، أو محاور، تتحدث عن موضوع التهاني وما قيل

(1) سورة التوبة، الآية (٢١).

فيه من شعر ونثر، ونطالع هذا الاتجاه واضحا في عيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والبصائر والذخائر للتوحيدي، وبهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، وربيع الأبرار للزمخشري، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، وغيرها من مصادر الأدب العربي، وهذا يعني أن المادة الأولية للموضوع توجد في هذا النوع من المصادر، إضافة إلى دواوين الشعر العربي نفسها التي تزودنا بمادة وفيرة قيلت في التهاني على اختلاف محاورها الدقيقة .

تقوم الدراسة على تحديد مفهوم شعر التهاني، للتعرف على حدود هذه الظاهرة المختلفة، وتناول المضامين من خلال المادة الشعرية التي عبرت عن هذا الموضوع، لذلك تلجأ الدراسة إلى المنهج الاستقرائي في قراءة النصوص وتتبعها في مصادرها، ومن ثم تناول هذه النصوص الشعرية وإبراز ملامحها وقضاياها، معتمداً في ذلك على المنهج التحليلي .

تقوم هذه الدراسة على ثلاثة فصول، خصص الأول منها للحديث عن الاتجاه السياسي في شعر التهاني، وقد ضم التهاني بالبطولات والقيادة الحربية، الذي شمل التهنئة بفتح البلدان، والانتصارات الحربية على الأعداء، كما ضم التهاني بالمناصب والولايات التي كان منها، التهنئة بالخلافة، بولاية العهد، الوزارة، والولايات .

وأمّا الفصل الثاني، فقد تناول الاتجاه الديني في شعر التهاني، وقد ضم التهاني بالأعياد الإسلامية التي شملت، التهنئة بقدوم شهر رمضان، وبأداء فريضة الحج، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، كما شمل هذا الفصل، التهاني بالأعياد غير الإسلامية التي ضمت التهنئة بالأعياد الفارسية، والأعياد المسيحية .

أمّا الفصل الثالث، فقد تناول الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني، الذي ضم التهنئة بالزواج والمصاهرة، والإنجاب، والشفاء من المرض، والقدوم من السفر، والمسكن، والنجاة من الحوادث.

عُرّفت التهنئة في لسان العرب في باب (هَنَأ) : خلاف التعزية، يقال: هَنَأه بالأمر والولاية. وقال الأصمعي:يقال في الدعاء للرجل هُنِّئْت ولا تُنْكَهْ، أي أصبت خيراً ولا أصابك الضر[1].

كما ورد معنى التهنئة في المعجم الوسيط بمعنى تقديم المسرة والنصرة وغيره. فيقال :(هَنَأ) فلانا-هَنْئا: أعطاه طعاماً أو نحوه وسره، وهنّأ فلانا بالأمر تهنئة: خاطبه راجياً أن يكون هذا الأمر مبعث سرور له. و(استهْنَأ) فلانا: استعطاه واستنصره[2] .

(1) ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، مجلد ١، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (هَنَأ).
(2) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دار المعارف، مادة (هَنَأ).

وقد جاء في كتاب الله ما يماثل هذا المعنى ويضاهيه، ويتضمن البُشرى بما أتيح للسعيد من مآل الخير، كقوله سبحانه حكاية عن أهل الجنة: (وَقَالُوا الحمدُ للهِ الذي أَذْهبَ عنّا الحَزَنَ) [1]. وقوله (وقال لهم خَزَنَتُها سلامٌ عليكم طِبْتُمْ فادْخُلُوها خَالدين) [2].

وقد وردت بعض الأحاديث الشريفة في التهنئة، فقد روى الأمام مسلم رحمه الله في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، عن أُبّي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أبا المُنذر! أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظمُ ؟). قال: قلت: اللهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟). قلت: (الله لا إله إلا هو الحيُّ القيومُ)، قال: فضرب على صدري وقال: والله! لِيهْنك العلمُ أبا المنذر)) [3]. فهي تهنئة نمت عما يسره ويرضيه، وكثيرا ما يكون في هذه التهاني دعاء بالبركة، حيث ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مهنئا بالنكاح: (بارك الله لك)[4].

وللتهنئة مرادفات أخرى قد تشترك معها في بعض المعنى، مثل التبريك، وهو أن يقول شخص لأخر: بارك الله عليك، أو بارك الله لك. ومعنى هذا الدعاء للإنسان بالبركة، والبركة هي النماء والزيادة[5]، والتبريك خير من عند الله تعالى،ولذلك يقال لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة أن فيه بركة، ومن معنى التبريك المتعلق بالتهنئة ما جاء في حديث البخاري رحمه الله تعالى في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، فإنه لما تزوج بها دعا الناس إلى الخبز واللحم، فأكلوا ولم يبق أحد إلا دعي، حتى قال أنس: (فقلت: يا رسول الله! ما أجد أحداً أدعوه، فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله ، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت اهلك؟ بارك الله لك، فطرق حجر نسائه كلهن يقول لهن كما قال لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة)[6].

لم تكن التهاني من الأقسام التي كانت العرب تصوغ منها شعراً كما يذكر ذلك أبو هلال العسكري، فيقول: إن التهاني لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً، وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح، والهجاء، والوصف، والتشبب، والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسما سادساً، وهو الاعتذار،ولا أعرف للعرب شيئا ينسب إلى التهاني، ومهما جاء عنهم من شكلها شئ فهو عند العلماء معدود في جملة المديح، مثل قول أبي الصلت

---

(1) سورة فاطر، الآية (٣٤).
(2) سورة الزمر، الآية (٧٣).
(3) مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج١، ص (٥٥٦).
(4) المصدر السابق، ج٢، ص (١٠٤٢).
(5) إبراهيم أنيس، المجعم الوسيط، مادة برك.
(6) البخاري، صحيح البخاري، رقمه وبوبه: محمد نزار إبراهيم نزار، د.ط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص (١٠٣٣).

الثقفي[١]، يذكر سيف بن ذي يزن[٢] وإتيانه بالفرس، ومحاربته بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه، وهو قوله بعد ذكر الفرس:

فاشْـرَبْ هنيئاً عليك التـاجُ مُرْتَفقـاً في رأس غُمدانَ دار منك مِحْـلالا

تـلك المكارمُ لاقعبـانَ مـن لـبـنٍ شِيّبت بمـاءِ فعـادت بعـدُ أبْـوالا[٣]

والشعر كما معروف بأهميته منذ القدم، فقد كانت القبيلة من العرب إذا نبغ منها شاعر أتت القبائل فهنأتها، ووضعت الأطعمة ، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم ،وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد،أو شاعر ينبغ فيهم،أو فرس تنتج. [٤]

تقسم التهاني إلى قسمين كما يقول النويري: إن التهاني تنقسم إلى قسمين، أو تنحاز في جهتين: خصوص، وعموم، فالخصوص: هو ما يتعلق بالرجل من منصب يليه، ونعمة توليه، وولد رُزقه، وشفاء من مرض أقلقه وأرقه، وقدوم من سفر، وزواج قضى به الأرب والوطر. والعموم: هو ما يتعلق بالجمهور، ويتساوى فيه الملك والمملوك، والآمر والمأمور، من أنصاب غيث عمّ الرُّبا والوهاد، وجريان نيل شمِلَ بريّة البلاد وأمن العباد، وهزيمة عدو زاد في عدوانه وتمادى في طغيانه، وفتوح حصن أمن أهله بتشديد أركانه وإتقان بنيانه[٥].

فالتهنئة تكون على أحوال، إما أن تكون ما يسر به الإنسان مما يطرأعليه من الأمور التي فيها تجدد نعمة، أو دفع مصيبة، كالتهنئة بالزواج، وبالمولود الجديد، أو بالخلافة، أو ما شابه ذلك من المناسبات التي لا ارتباط لها بزمن معين، وإما أن تكون التهنئة في أزمان معينة، كالأعياد، والأعوام والأيام.

---

(1) أبو الصلت، هو ابن أبي ربيعة بن عبد عوف بن ثقيف، وهو شاعر جاهلي، والد الشاعر أمية بن ابي الصلت، انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: محمد مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت.ص(٢٨١).

(2) سيف بن ذي يزن: من ملوك العرب اليمانيين ،حكم نحو (٢٥ سنة)، قتل في صنعاء سنة (٥٠ ق.هـ)، الزركلي، الأعلام، الطبعة السادسة،ج/٣،دار العلم للملايين،بيروت،ص(١٤٩).

(3) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت، ص (١٠٨).

(4) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة،ج/١ ، دار الجيل،بيروت، ص (٦٥).

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج/ ٤-٥، ص (١٢٣).

الفصل الأول

الاتجاه السياسي في شعر التهاني

التهنئة بالبطولة والقيادة الحربية

شغلت البطولة الناس منذ قديم الزمان، فتغنوا بها، ومجدوا الأبطال، وعظموا أفعالهم، وقام الشعراء بتصوير البطولات، وتخليد نماذج التضحية، حتى أصبح شعرهم صورة لصيحات المجد، وصدى للمآثر الحميدة، وديواناً حافلاً لما قدمه كل بطل، وهو يحاول أن يقدم العمل الفذ.

ولقد جاءت التهنئة في أشكال مختلفة، وطرائق متعددة، منها:

أولاً: التهنئة بفتح البلدان

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً، وازدادت مساحتها، فقد كان عصر الراشدين والعصر الأموي مليئين بالفتوحات، في حين شهد العصر العباسي ظروفاً داخلية أثرت على جو السياسية فيه[1]، ولكن بالرغم من الظروف التي عصفت بهذا العصر، إلاّ أنه بقى له فتوحاته وحروبه التي سطّر فيها الأبطال أعمالاً بقيت خالدة، ورافقت هذه الفتوحات أشعار كثيرة، تغنّى الشعراء فيها بالبطولة والانتصار، وقدموا التهاني بتلك الفتوحات، وامتدحوا القادة الشجعان، الذين كان لهم في ميادين القتال جولات واسعة، وتحدثوا عن صنائعهم في تلك الحروب، وإقدامهم في تلك المعارك، إلى جانب ما شاهدوه من المعاقل، والحصون، وحديثهم عما نزل بأعدائهم من الهزائم، ومن هذه التهنئات، ما قدّمه أشجع السلمي للرشيد، عندما فتح الرشيد هرقلة[2]، وعاد إلى الرقة، فدخلها آخر يوم في شهر رمضان، وعيّد، ثم جلس للشعراء، فأنشده أشجع السلمي:

لا زلتَ تنشر أعياداً وتَطويها ... تمضي بها لك أيامٌ وتُثنيها
مُستقبلاً بهجة الدُّنيا ولذتَها ... أيامُها لك نظمٌ في لياليها
العيدُ والعيدُ والأيامُ بينهما ... موصولةٌ بك لا تَفنى وتُفنيها
وليهنك الفتحُ والأيامُ مقبلةٌ ... إليكَ والنصرُ معقودٌ نواصيها
أمستْ هرقلةُ ملكوماً جوانبُها ... وناصرُ الدّين بالتدبير يرميها
ملكتَها وقتلتَ الناكثين بها ... بنصرٍ من يملكُ الدنيا وما فيها

(1) انظر: زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ص (١٥٠).

(2) هِرَقْلَةُ: مدينة ببلاد الروم، كان الرشيد غزاها بنفسه، ثم اقتحمها عنوة بعد حصار وحرب شديد، ورماها بالنار والنفط حتى غلب أهلها، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، ج٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

مـــا رُوعـــي الـــدّينُ والـــدنيا علـــى قـــدمٍ بمثـــلِ هـــارونَ راعيـــهِ وراعِيهـــا[1]

يقدم الشاعر التهنئة للخليفة بهذا الفتح الكبير، حيث إنه ينشر الأعياد بهـذه الانتـصارات والفتوحات التي يحققها، وما هذا الفتح إلاّ عيد يستقبل به الخليفة بهجة الدنيا ولذّتها، ولا يكتفـي الشاعر بتقديم التهنئة للخليفة بهذا الفتح فقط، وإنما يشير إلى الأيام القادمة التـي سـيكون بهـا فتوحات جديدة، وفي هذا إشارة إلى استعداد الخليفة لمزيد من التضحيات، فهو الراعـي للـدين والدنيا يمدّه الله بنصره. وتثير هذه التهنئة في سمع الرشيد وخاطره بما تحمله من معـاني فـي نصرة الإسلام وأهله، ما جعله يجزل صلته بحيث أصدر أمراً بألاّ ينـشده يومـذاك أحـد بعـد أشجع[2].

وهذا هارون الرشيد يتوغل في بلاد الروم، فينهزمون أمامه، ويتابع الرشيد مـسيرته فـي عدد كبير من الجيش، حتى بلغ خليج البحر على القسطنطينية، وصاحب الروم يومئـذ أغـسطة امرأة أليوان، وذلك أن ابنها كان صغيراً، وقد هلك أبوه وهو في حجرها، وجرت بينهـا وبـين هارون الرشيد الرُّسل والسفراء في طلب الصلح والموادعة، وإعطائه الفدية، فقبـل ذلـك منهـا هارون الرشيد[3]، وهنا يتقدم مروان بن أبي حفصة، في مدح هارون، مبيناً حال الأعداء، حيـث حاصرهم هارون مسنداً إليهم الرماح، حتى كساهم الذّل، ليس البشر وحـدهم، بـل والحجـارة أيضاً، وأجبروا على الخضوع، وقدموا الجزية، وهم صاغرون، وأطلق سراح جميـع الأسـرى المسلمين، الذين لولاه لأصبحت سجون الأعداء قبوراً لهم، فيقول:

أطَفْـــتَ بِقُـــسْطَنْطِينةِ الـــرُّوم مُـــسْنِداً إليهـــا القَنَـــا حَتَّـــى اكتَـــسَى الـــذُّلَّ سُـــورُها

ومـــا رمْتَهـــا حتـــى أتَتْـــكَ مُلوكُهـــا بِجزيتِهـــا والحـــربُ تَغْلـــى قُـــدورُها

وفُكَّـــتْ بـــكَ الأسْـــرى الّتـــي شُـــيّدتْ لهـــا مَحَـــابِسُ مـــا فيهـــا حَمِـــيمٌ يَزُورُهـــا

علـــى حِـــينَ أعيَـــا المـــسلمينَ فِكَاكُهـــا وقـــالوا: سُـــجونُ المـــشركينَ قُبُورُهـــا[4]

---

(1) أشجع السلمي، الـديوان، خليـل بنيـان الحـسون، الطبعـة الأولـى، دار المـسيرة، بيـروت، لبنـان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص (٢٦٨-٢٦٩).

(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، مجلد ٤، دار صادر، بيروت، لبنان، ص (١٤١).

(3) الطبري، تاريخ الطبري، الطبعة الثالثة، مجلد ٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص (٥٧٢).

(4) مروان بن أبي حفصة، الديوان، شرح أشرف أحمد عدرة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربـي، بيـروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص (٦٦).

وفي موقع آخر، يبين مروان بن أبي حفصة فضل هارون الرشيد في سد الثغور، وتحصين المسلمين، حيث تمكّن الخليفة من حماية حدود دولته، فشدّ بذلك أزر المسلمين وعزيمتهم، لتبقى رايته خفاقة دائماً، والنصر حليفه بهذا الجيش الّذي تتفرّق أمامه جيوش الأعداء، وتبقى حصون العباسيين منيعة تحمي حدودها الرماح والسيوف، لذلك يُهنئ الشاعر الخليفة بهذا المُلك الّذي غدت أسرته ومنابره مزهوة ومختالة به، فيقول[1]:

وَسُدَّتْ بهـا رُونَ الثُّغورُ فأُحْكِمَتْ ... بـه مـن أُمـورِ المسلمينَ المرائِرُ[2]

ومـا انْفَكّ مَعقُوداً بنصر لـواؤُهُ ... لـهُ عسكرٌ عنهُ تَشَظَّى العساكِرُ

حُصُونُ بني العبِّاس في كُلِّ مأزقٍ ... صدورُ العَوالي والسُّيوفُ البَوائِرُ

لِيَهْنِكُمُ المُلكُ الّذي أصبحتْ بكم ... أسِرَّته مُختالةً والمنابرُ

أكثر الشعراء من تهانيهم للقادة والأبطال الذين كان لهم دور في البطولات، والفتوحات، وامتداحهم بما يملكونه من عزم وقوة، حيث إن التهاني كانت تُعدُّ شكلاً من أشكال المديح، كما يقول أبو هلال العسكري: "ولا أعرف للعرب شيئاً ينسب إلى التهاني، ومهما جاء عنهم من شكلها شيء، فهو عند العلماء معدود في جملة المديح"[3]، ومن هؤلاء القادة الشجعان الذين استمروا في مواجهة الأعداء، "الأفشين"[4] حيث سيّره المعتصم لمواجهة الروم، فيمدحه الحسين بن الضحاك[5] ببطولاته التي خاضها ضد الروم، باعتباره سيفاً قدّره الله سبحانه في كف المعتصم لمقابلة أعدائه، حيث ترك الأعداء في المناطق الّتي دخلها جثثاً هامدة، وكأنها أصنام (إرم)، حيث تدل هذه العبارة على تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، لأنها إشارة لقوله تعالى: "ألم ترَ كيف فعل ربُّك بعاد، إرمَ ذات العماد"[6] ليصبح حال هؤلاء الأعداء كحال قوم عاد فيما لقوه من عذاب، ويستمر الشاعر في وصف الأفشين

(1) المصدر السابق نفسه، ص (٦٢-٦٣).
(2) المرائر، جمع (مَرِيرَةُ)، وهي العزائم، المعجم الوسيط.
(3) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص (١٠٨).
(4) الأفشين، محمد بن أبي الساج، قائد جيش المعتصم (ت ٢٨٨هـ)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، مجلد ٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٢٥٠).
(5) الحسين بن الضحاك بن يسار، أبو علي البصري، شاعر معروف بالخلع، شاعر ماجن، مطبوع، حسن الافتتان في ضروب الشعر وأنواعه، ولد سنة (١٦٢هـ)، انظر: البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: عبد القادر عطا، ج٨، الكتب العلمية، ص (٥٤).
(6) سورة الفجر، آية (٦، ٧).

الّذي استمرّ في مواجهة الروم، فيجعل الندم حليفهم، فقد قُتل قائدهم، وفضّ جموعهم، وفرّوا هاربين بعد أن قُتل منهم الكثير، أمّا من نجا منهم فقد كان مثخناً بالجراح، فيقول[1]:

إنما "الأفشين" سيفٌ سلَّه ... قدرُ اللهِ بكفِّ المُعتصمْ
لم يدعْ بالبدِّ من ساكنِهِ ... غيرَ أمثالٍ كأمثالِ "إرَمْ"[2]
ثمَّ أهدى سَلماً "بابكَه" ... رهنَ حجلين نجيّا للندمْ
وقرا "توفيلَ" طعناً صادقاً ... فضَّ جمعَيه جميعاً وهزَمْ
قتلَ الأكثر منهم ونجا ... مَنْ نجا لحماً على ظهرِ وضَمْ[3]

ومن الشعراء الذين مجدوا البطولة، ومدحوا الأبطال، البحتري، فها هو يمدح يوسف بن محمد الثغري، الذي قاد الجيوش في عهد المتوكل لمواجهة البطارقة الأرمنيين، فيتحدث الشاعر عن الممدوح باعتباره المرجوّ لإعلاء الدين ونصرته، قاصداً وجه الله تعالى، وسائراً بالدين إلى المجد، وهنا يقدم الشاعر صورة للرجال الذين يسندون هذا الدين، كأمثال الممدوح، صاحب البأس الشديد، والسماحة المرجوّة، الّذي لا يرى إلا السيف إن وقعت المعركة، لتعلو أصوات أسلحته فوق كل الأصوات، فلا يكون حينها إلاّ ذلّ للشرك، والإطاحة به، فيقول:

هو المَلِكُ المرْجَوُّ للدِّينِ والعُلا ... فلِلّهِ تَقْواهُ وللمجدِ سائِرُهُ
لهُ البَأسُ يُخْشى والسَّماحةُ تُرتجى ... فلا الغيثُ ثانيه ولا اللَّيْثُ عاشِرُهُ
إذا وَقَعَتْ بالقُربِ منه ملِمَّةٌ ... ثَنَى طرْفَه نحوَ الحُسام يُشاوِرُهُ
إذا خَرسَ الأبطالُ في حَمَسِ الوَغى ... عَلَتْ فوقَ أصواتِ الحديدِ زماجِرُهُ
ولا عِزَّ للإشراكِ مِنْ بعدِ ما التقتْ ... على السَّفْحِ من عُلْيا طرونَ عَساكِرُهُ[4]

ولما للفتح من فضل في امتداد الرقعة الإسلامية، ورفع للواء الإيمان، فقد حرص القادة على مطاردة أعدائهم في كل موقع يحطّون به، واستبسالهم في دحض الكفر وأصحاب الفتن، وفي هذا يقول

---

(1) الحسين بن الضحّاك، الديوان، تحقيق: جليل عطيّة، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٥م، ص (١٥٧).
(2) بذُّ: بتشديد الذّال، كورة بين أذربيجان وأَرَّان، بها كان مخرج بابك الخُرَّمي في أيام المعتصم، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد الفريد الجندي، الطبعة الأولى، ج/١.
(3) وضم. كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو غيره، مادة (وَضَمَ).
(4) البحتري، الديوان، شرح محمد التونجي، الطبعة الأولى، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٥١٤-٥١٥).

البحتري مهنئاً الموفق[1] بقمعه لثورة الزنج[2]، مبيناً دوره في نصرة الدين، ومطاردته للأعداء في كل أرض يحلّون بها، لتظللها رماحه وخيوله، تاركاً صاحب الزنج قتيلاً، فيقول:

فـــإنَّ الـــذي بـــينْ المـــدائنِ قاطعـــاً ... إلـــى الـــصِّين عَرْضـــاً سَـــيْبُهُ ومواهِبُـــهْ
فـــــلا أرضَ إلاَّ ماأفـــــاءت رماحُـــــهُ ... ولا غُـــــنْمَ إلاّ مـــــا أفـــــادتَ مقانِبُـــــهْ
ومـــا كـــان يـــدري صـــاحبُ الـــزَّنْج أنّـــه ... إذا أبْطَرتْـــهُ غَفْلَـــةُ العـــيشِ صـــاحِبُهْ
وكـــان صـــريعَ الحَـــيْنِ جِـــبْسٌ مُلعِّـــنٌ ... متى شـــاءَ يومـــاً قـــال مـــا شـــاءَ عائبُـــهْ[3]

ويمضي الشاعر مشيداً بهذا الانتصار، ويعدّه ثأراً للدين، فيقول:

أخـــذْتَ بـــوتْر الـــدِّين إذ ظُفِّـــرتْ بـــه ... يـــداكَ فلـــم يُقْلِـــتْ عـــدُوٌّ تُطالِبُـــهْ[4]

والقصائد التي تتحدث عن الموفق كثيرة، حيث كان له دور في متابعة الـزنج ومنـازلتهم في عدّة وقائع، دون أن يثنيه شيء عن الحرب حتى أنه قد جُرح جرحاً بليغاً في صـدره أثنـاء معاركه الأخيرة[5]، ولم يمنعه ذلك من متابعة حربه، حتى كُتب له النصر، ولـذلك يقـول ابـن المعتز في تهنئته بهذا النصر واصفاً إياه بناصر الإسلام، مبيناً أثر هـذا النـصر فـي نفـوس المسلمين، فقد شفى ما بداخلهم من غيض للكفر، وأدميت به الجراح، فيقول:

يـــا ناصـــرَ الإســـلامِ عِـــشْ ... واســـلمْ علـــى ريـــبِ الـــزمنْ
شـــقّ الجمـــوعَ بـــسيفهِ ... وشـــفى حـــزازات الإحـــنْ
دامـــى الجـــراحَ كأنّـــهُ ... وردٌ تفـــتّحَ فـــي غـــصنْ[6]

(1) طلحة (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله)، ابن المعتصم العباسي، من رجـالات الـسياسة والإدارة والحزم، لم يل الخلافة اسماً ولكنه تولاها فعلاً، ت (٢٧٨هـ)، انظر: الأعلام، ج٣، ص (٢٢٩).

(2) ثورة الزنج، هم طائفة من عبيد إفريقية، أثارت القلق والرعب في حاضرة الخلافة العباسية، وانضمت إليهم جماعات من العبيد الغاريين من القرى والمدن، وقادهم رجل فارسي يسمى علي بن محمد، أدّعى أنه مـن ولـد علي زين العابدين بن الحسين بن علي، وادّعى أن العناية الإلهية أرسلته لإنقاذهم مما كانوا يعانونه من بـؤس، كما ادّعى العلم بالغيب، وانتحل النبوءة، ودامت الحرب بين جيوش العباسيين من عام (٢٥٥هـ-٢٧٠هـ)، إلى أن قضى الموفق وقواده عليهم، انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٣، ص (٢١٦).

(3) البحتري، الديوان، ج/١، ص (١٠٤-١٠٥).

(4) المصدر السابق نفسه، ص (١٠٧).

(5) الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٥، ص (٥٦١).

(6) ابن المعتز، الديوان، يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت،ص(٦٧٧).

ويكثر الشعراء من تصوير الفرح بالانتصارات على الأعداء، ومنها انتصار المعتصم على بابك الخرمي، الّذي أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه، فيصور الشاعر إبراهيم بن المهدي[1] هذا الفرح في تهنئته للخليفة، مكثراً من الحمد بهذا النصر الّذي مدّه الله للمعتصم ليكون فتحاً ليس له مثيل، فيقول:

يا أميـنَ اللهِ، إن الـحمدَ للهِ كثيـرا

هكذا النصرُ فلا زا ل لك اللهُ نصـيرا

وعلى الأعداءِ أعطيـت من اللهِ ظـهيرا

وهنيئـاً هيّـأ اللـهُ لك الفتحَ الخطيرا

فهو فتحٌ لم يرَ النـا سُ له فتحاً نظيـرا[2]

ومن الفتوحات الإسلامية "فتح عمورية" حيث أكثر من وصف هذا الفتح الّذي يُظهر أثر الصراع بين العرب والروم، ومن هؤلاء الشعراء أبو تمام الّذي افتتح قصيدته بذكر السيف، فيقول:

الـسيفُ أصـدقُ أنبـاءٍ مـن الكُتـبِ في حـدِّه الحـدُّ بـين الجِـدِّ واللعِـبِ[3]

وفيما يتعلق بهذا الفتح الكبير، الّذي يتجلى فيه النفس الحماسي في التعبير عن الفرح بهذا الفـتح، فيقول:

فـتحُ الفتـوحِ تعـالى أنْ يحـيطَ بـه نظـمٌ مـن الـشّعر أو نثـرٌ مـن الخطـبِ

فـتحٌ تَفـتُّحُ أبـوابُ الـسماء لـه وتبـرزُ الأرْضُ فـي أثوابهـا القُشُبِ

أبْقيـتَ جَـدّ بنـي الإسـلام فـي صَـعَدٍ والمـشركينَ ودارَ الـشركِ فـي صَـبَبِ

وبَـرْزَةُ الوجـهِ قـد أعْيـتَ رياضـتُها كسرى وصدَّتْ صـدوداً عـن أبـي كـربِ

بكـرٌ فمـا افترعتهـا كـفُّ حادثـةٍ ولا ترقـت إليهـا هِمَّـةُ النُّـوبِ

---

(1) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، أخو هارون الرشـيد، ولـد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين، كان فصيحاً، جيد الشعر، سخيّ الكف، حاذقاً بصنعة الغناء، ت (٢٢٤هـ/٨٣٩م)، الأصفهاني، الأغاني، مجلد/١٠، ص (١٠١) .

(2) المسعودي، مروج الذهب، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي،الطبعة الأولى، ج/٤، ص (٥٧).

(3) أبو تمام، الديوان، محي الدين صبحي، الطبعة الأولى، مجلد/ ١، دار صادر، بيروت، لبنـان، ١٩٩٧م، ص (١٩٦).

مـــن عهـــدِ اســـكندر أو قبـــل ذلـــك قـــد شابَتْ نواصي الليـــالي وهـــي لـــم تـــشبِ[1]

يعظم الشاعر من شأن هذا الفتح، حتى لقد أسماه "فتح الفتوح" ذاك الفتح الّذي يعجز عـــن وصفه الشعر والنثر، فقد تفتحت له أبواب السماء، وأصبحت به الأرض نضرة مـــشرقة، فـــتحٌ أعلى من شأن الإسلام، وذُلّ به أهل الشرك، كما يشير الشاعر إلى ناحية مهمة في هـــذا الفـــتح، وذلك بقاء عمورية عصية منذ القدم، فهي مدينة لم تطأها قدم كسرى، واستعـــصت علـــى ذوي الحروب، فلم يفتحها أحد، ولا مشت فيها الحوادث والصروف، وهي قديمة في عهـــد الإســـكندر المقدوني إن لم تكن قبل عهده، وعلى الرغم من شيخوختها، فقد ظلت صافية الأديم، عليها بهـــاء الشباب ونضارته.

أمّا الحسين بن الضحّاك فإنه يمدح قائد هذا الفتح، الفتح الّذي وُصف بأنه قد "أذل به رقاب المشركين، وشفى بها قلوب المؤمنين"[2]، ليظهر الشاعر صـــفات ممدوحـــه (المعتـــصم) التـــي تتناسب والمقام الّذي قيلت فيه هذه الأبيات، حيث يحذّر الشاعر الأعداء من فعل ممدوحه، فهـــو صاحب دربة على تحطيم الأعناق، دائم الاستعداد للحرب، سريع الانقضاض على أعدائه، حتـــى يتركهم في اسوأ حال وأكره منظر بين قتيل، وجريح، وأسير، ولم يكتفِ حتى أذل ملوك الـــروم، وهزم صلبانهم، فيقول[3]:

إنّـــــي أحـــــذّركم بـــــوادرَ ضَـــــيغمٍ دَربٍ بحطـــــــم موائـــــــل الأعنـــــــاق
متأهـــــــب لا يـــــــستفزُّ جَنانَـــــــه زَجـــــلُ الرعـــــودِ ولا مـــــعُ الإبـــــراق
لـــــم يُبـــــق مـــــن متعـــــرّمين تواثبـــــوا بالـــــشام غيـــــرَ جَمـــــاجمٍ أفـــــلاق[4]
مـــــن بـــــين مُنجـــــدلٍ تمـــــجُّ عروقُـــــه عَلَـــــقَ الأخـــــادع أو أســـــيرٍ وثـــــاق[5]
ثـــــم اســـــتكانتْ للحـــــصار ملـــــوكُهم ذُلاً ونـــــــاطَ حُلـــــــوقهُمْ بخنـــــــاق
هَربـــــت وأســـــلمتِ الـــــصليبَ عـــــشيّة لـــــم يبـــــقَ غيـــــرُ حُـــــشاشة الأرمـــــاق

(1) المصدر السابق،ص(١٩٦).
(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج/٤، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت، ص (١١).
(3) الحسين بن الضحّاك، الديوان ، ص (١٤٠-١٤١).
(4) المتعرمون: أصحاب الشراسة والحدّة، مادة (عَرِمَ)،المعجم الوسيط.
(5) مُنجدل: قتيل، مادة (جدل)،المعجم الوسيط.

مما سبق يتبين لنا أن الشعراء أعجبوا بالانتصارات، فقاموا بتهنئة الخلفاء والقادة الشجعان، فمجدوا بطولاتهم، وعظموا أفعالهم، وأظهروا أثر هذه الفتوحات في نفوس المسلمين، حتى أصبحت كأنها أعياد تُزيّن أيامهم، وبيان دور الخلفاء والقادة في نصرة الإسلام، والثأر له، وذلك بتصويرهم سيوفاً من سيوف الله تُسلّ على أعدائه.

ثانياً: التهاني بالانتصارات الحربية على الأعداء

تعد صور الانتصارات من الصور التي استهوت الشعراء، وتركت في نفوسهم الأثر الواضح، حيث صور الشعراء انتصارات القادة والأبطال الذين خاضوا المعارك، وسجلوا الانتصارات، مبينين في أغلب قصائدهم تمجيد القوة وآلاتها، وكما أن الأمر لم يقتصر على الإشادة بالانتصار بل تجاوز ذلك إلى موضع الصراع في إطاره الإسلامي الشامل، باعتباره صراعاً بين الإسلام وأعدائه، لذلك دأب الشعراء على ربط انتصارات المسلمين بعقيدتهم، كما ركّز الشعراء في تهنئاتهم بالانتصارات على المقابلة بين حال المسلمين وأعدائهم، ليبرزوا قوة المسلمين، وتضخيم انتصاراتهم، في الوقت الذي يصورون به هزائم الأعداء، والاستخفاف بهم وبقادتهم.

أعقبت هذه الانتصارات أشعار تشيد بهذه البطولات، وتهنئ القادة والأبطال وتتغنى بأفعالهم، وانتصاراتهم، فها هو ابن المعتز يصور ما قدمه الموفق في محاربة الزنج، والقضاء على صاحبها، حيث إنه أكثر من تهنئته بهذا الظفر[١]، مبيناً شجاعته وحزمه، حيث تبدو الروح الحماسية واضحة في هذه الأبيات، فالرماح تتصافح، والسيوف ترتوي من شدة الطعن، وينتقل إلى ذكر صفات ممدوحه، صاحب قلب شجاع، سريع الانقضاض على أعدائه، فيقول[٢]:

تَرى فوقَ مَتْنيهِ الفِرِنّدَ، كأنّما ... تَنفّس فيهِ القينُ، وهو ثقيلُ[٣]

فأعلَمْتُهُ كيفَ التصافُحُ بالقَنَا ... وكيفَ تُروى البيضُ وهي محولُ

سريعٌ إلى الأعداءِ، أمّا جَنانُهُ ... فماضٍ، وأما وجهُهُ فجميلُ[٤]

---

(1) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ص (٣٣١).

(2) ابن المعتز، الديوان، يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص (٥٦٣).

(3) الفِرند: السيف،المعجم الوسيط.

(4) جَنَان: القلب،المعجم الوسيط.

ويهنئ الحسين بن الضحّاك "الأمين"[1] بظفر جيشه بأصحاب "طاهر بن الحسين"[2] الّذي كان من أكبر أعوان المأمون، داعياً إلى الثقة بالله في خوض المعارك، صاحب العز والنصر، والاتكال عليه، ليكون النصر حليفهم، والسوء والدبر لأعدائهم، يسقون كأس الموت، كما يشير الشاعر إلى أن الحرب سجال، فمرة تكون لهم، ومرة تكون عليهم، فيقول[3]:

أمينَ اللهِ ثِقْ باللّهِ تُعطَ العِزّ والنُّصرَه
كِلِ الأمرَ إلى الله كلاكَ اللهُ ذو القُدْره
لنا النصرُ بإذنِ اللهِ والكَرّةُ لا الفَرّه
وللمُرّاق أعدائِك يومُ السوءِ والدَّبره[4]
وكأسٌ تُوردُ الموتَ كريهةٌ طعمُها مُرّه
كذاك الحربُ أحياناً علينا ولنا مَرّه

ومن الشعراء الذين صوروا المعارك، وعشقوا الانتصارات، المتنبي، فقد كان له غرام خاص بالحرب وآلاتها، تميل إليها نفسه ميلاً تلقائياً، لأنها من النفوس القوية الّتي تؤمن بأن القسوة سنة الحياة على وجه الأرض، فقد رافق سيف الدولة، الّذي كان له في ميادين القتال جولات واسعة، ورافق الجيوش إلى ساحات الحرب، وواجه الأهوال، فكان عهد سيف الدولة زاهي بالنسبة إلى هذا النوع من شعر المتنبي[5].

ومن المعارك الّتي سطر المتنبي أحداثها، وتغنى بانتصارها، معركة الثغور، الّتي قسمها الشاعر إلى قسمين كبيرين، قسم لسيف الدولة، رجل حرب، وقسم آخر لسيف الدولة في علاقته مع الشاعر، وعلاقة الشاعر معه، أمّا القسم الأوّل فيدور حول حرب الثغور وانتصار سيف

(1) الأمين: محمد بن هارون، بويع في الخلافة باليوم الّذي مات فيه هارون الرشيد سنة (١٩٣هـ) ولد بالرصافة، قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ودفئت جثته ببغداد، وحمل رأسه للمأمون في خراسان، كانت خلافته أربع سنين وستة أشهر، انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص (٣٩٦).

(2) طاهر بن الحسين بن مصعب: كان من أكبر أعوان المأمون وكان يسمّيه ذا اليمينين، وكان طاهر أعور (ت٢٠٧هـ)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢،ص(٥١٧).

(3) الضحّاك، الديوان، ص (١٠١).

(4) المرّاق، الخارج عن دينه، مادة (مَرَقَ).

(5) انظر: حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص (٨٠٨).

الدولة على الدمستق[١]، حيث جعلها ذكرى كبيرة في مثل هذا اليوم ومثل هذا الموقف[٢]، ليقدم المتنبي معنى جديداً في تهنئته وذلك أنه لا يهنئ ممدوحه بالعيد وإنما يهنئ العيد به، فيقول:

هنيئاً لك العيدُ الّذي أنت عيدُهُ ... وعيدٌ لمنْ سمّى وضحّى وعيّدا
ولا زالتِ الأعيادُ لُبْسَكَ بعْدَهُ ... تُسلَّمُ مَخْروقاً وتُعْطي مُجدَّدا
فذا اليومُ في الأيامِ مِثْلُكَ في الورى ... كما كنتَ فيهم أوْحدا كان اوْحدا[٣]

ويفصّل المتنبي هذه الحرب في قصيدته التي يقول فيها[٤]:

رمى الدّربَ بالجُرْدِ الجيادِ إلى العِدى ... وما علموا أنّ السّهامَ خُيُولُ
شَوَائلَ تَشْوَالَ العقارب بالقَنَا ... لها مرح من تحته وصهيلُ[٥]
وخيلٍ بَرَاها الركضُ في كلِّ بلدةٍ ... إذا عرّسَتْ فيها فليس تقيلُ
فما شعروا حتى رأوْها مغيرةً ... قِباحاً وأمّا خَلْقُها فجميلُ
سحائِبُ تمْطُرنَ الحديدَ عليهمُ ... فكلّ مكانٍ بالسّيوفِ غسيلُ

يظهر الشاعر عناصر القوة في هذه المعركة من الخيل، والرماح، والسيوف، فقد رمى سيف الدولة إلى الأعداء بخيل غدت أسرع إليهم من السهام، تعلوها رماح مرتفعة، بحيث إنها لا تبين بمكان لتفاجئ الأعداء، فلا يشعروا إلا وهي تغير عليهم، وتصبح كالسحائب لما فيها من بريق الاسلحة، وصياح الأبطال، الذين يمطرون بسيوفهم كل ما تقع عليه.

وفي موقع آخر، يقدم المتنبي تهنئة لأصحاب الثغور لأن سيف الدولة أصبح من حزبهم، مبرزاً محاسن سيف الدولة تجاههم، فهو ينصرهم، ويأمنهم من تصاريف الدهر، ويجزل عطاياه إليهم، فالشاعر يربط هنا بين صفتين أساسيتين له، هما البطولة والكرم، ويقدم المتنبي التهنئة لأهل الثغر بحسن رأي سيف الدولة فيهم، وأنه أصبح من حزبهم، فيقول:

---

(1) الدُمستق: لقب يعني الخادم الأعظم لجيش الشرق، يطلق على إمبراطور القسطنطينية.
(2) الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص (٧٩٩).
(3) المتنبي، الديوان، تحقيق عمر فاروق الطبّاع، ج٢، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت، ص (٧٦٠).
(4) المتنبي،الديوان،ج/٢،ص (٧٣٨).
(5) تَشْوال، ارتفع، مادة (شَالَ).

هنيئـــاً لأهـــلِ الثغـــر رأيُـــك فـــيهم وأنّـــك حـــزبُ اللهِ صِـــرتَ لهـــم حِزْبـــاً
وأنّـــك رُعـــت الـــدهرَ فيهـــا وريبَـــهُ فـــإن شـــكَّ فليُحـــدِثْ بـــساحتها خطبـــا
فيومـــاً بخيـــلٍ تُطـــردُ الـــرومَ عـــنهُمُ ويومـــاً بجُـــود تطـــردُ الفقـــرَ والجَـــدْبا[1]

وينوع المتنبي في تهانيه، فهو لا يقدم التهنئة للمدوح وحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تقـديمها للقيم الجميلة، كالشجاعة، والمجد، والعلى، فيقول:

هنيئاً لِضربِ الهـام والمجـدِ والعُلـى وراجيـك والإسـلام أنّـك سـالمُ[2]

كما نجد المتنبي في موقع آخر، يحاول أن يذكر كافور الأخشيدي بالقيم التي ينبغي أن تقدم على أساسها التهنئة، فهذا كافور الأخشيدي يطلب من المتنبي أن يذكر في شـعره داراً بناهـا، إلا أن المتنبي يقدم معاني جديدة للتهنئة، حيث يراها في بناء المعالي والمجـد، لا ببنـاء مـن المـدر والطين، والافتخار يجب أن يكون بالأيام التي مضت في ساحات الحروب، ومواجهة الأعـداء، وما تتركته من طيب الثناء، فكأنّ المتنبي يحدد المعاني التي تقدّم منها التهاني، العلياء، الهيجـاء، والسيوف، والثناء، فيقول:

إنّمـــا التهنئـــاتُ للأكْفَـــاءِ ولمـــن يَـــدّني مـــن البُعَـــداءِ
أنـــت أعلـــى محلـــةً أن تُهنَّـــئ بمكـــانٍ فـــي الأرضِ أو فـــي الـــسماءِ
إنّمـــا يفخـــرُ الكـــريمُ أبـــو المِـــسْـ ـــك بمـــا يبتنـــي مـــن العَلْيـــاءِ
وبأيّامـــه الّتـــي انـــسلختْ عنـــ ـــه ومـــا دارُهُ ســـوى الهيجـــاءِ
وبمـــا أثّـــرَتْ صـــوارمُهُ البـــي ـــضُ فـــي جمـــاجم الأعـــداءِ
لا بمـــا تُبتنـــي الحواضـــرُ فـــي الريـــ ـــف ومـــا يَطبّـــي قُلـــوبَ النـــساءِ[3]

كانت صور الانتصارات على الأعداء، تثير حفيظة الشعراء للتتوهج، وتقدّم أجمل صـور التهاني بهذه المناسبة التي تظهر قدرة الرجال على خوض المعارك، وتسجيل الانتصارات، وقـد كانت بعض هذه التهاني تحمل معاني جديدة، تختلف عن المعاني التقليدية للتهاني التـي يقـدمها الشعراء، كأن يهنئ الشاعر ممدوحه بالعيد، أو بالبطولة، إلا أن بعض هذه المعاني جاءت بشكل جديد، ليتقدم الشاعر بتهنئة العيد بممدوحه، أو يهنئ البطولـة بـه، أو يهنـئ المجـد والعلـى

(1) المتنبي، الديوان ، ج٢، ص (٦٨٢).
(2) المتنبي،الديوان، ج/٢، ص (٧٩٤).
(3) المتنبي،الديوان، ج/٢، ص (٨٩٥ – ٨٩٦).

بالممدوح، محاولين الخروج عن الصور التقليدية، وابتكار معاني جديدة للتهاني تحمل دلالات جديدة، تُعلي من شأن الممدوح، وترفع من مكانته التي تراها أحياناً فوق التهنئة.

التهنئة بالمناصب والولايات

اهتم الناس منذ القدم بالمناصب والرتب العالية، وسعوا إليها سعياً مضنياً، وتسببت بكثير من النزاعات، حتى أنها وصلت إلى معارك ضاربة بين المتنازعين، لما لهذه المناصب من أهمية في المجتمع العباسي، ولما لأصحابها من مزايا، فيقبل الشعراء على أصحاب هذه المناصب سواء كانوا خلفاء أو أولياء عهد، أو وزراء أو أصحاب ولايات بالتهاني، لما لهذه المناصب من أهمية ومكانة في المجتمع.

ومن التهاني بالمناصب الإدارية:

أولاً: التهنئة بالخلافة:

كان للخليفة العباسي مطلق الحكم، والحكم لديهم ينتقل بالوراثة، ويطبعه الدين، حيث أكد العباسيون على الجانب الديني واعتمدوه أساساً لتقوية الخلافة[1]، وكان العباسيون من بيت النبوة، فيعدون أنفسهم ورثة الخلافة الشرعيين، وبهذا مضوا يحيطون أنفسهم بهالة كبيرة من التقديس، وفي يد الخليفة كل الأمر، فهو يولي الولاة، والقضاة، والوزراء، والقواد، وأصحاب الشرطة، والمحتسبين، والذين يراقبون الأسواق، وبيده عزلهم، حسب مشيئته وهواه[2].

أما تهنئة الخلفاء الجدد في العصر العباسي، من أكثر الأغراض شيوعاً، لما يتمتع به الخليفة من مكانة اجتماعية، أو دينية، أو سياسية، فالخلافة من المناصب الهامة التي تؤثر في

(1) انظر: حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ص (٩) .

(2) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف، القاهرة، ص (٢٢).

حياة المجتمع، فما أن يتقلّد الخليفة مقاليد الحكم حتى يقبل الشعراء مهنئيين، مبرزين أثره في تحصيل هذه المنزلة العظيمة، فهذا البحتري يهنئ المتوكل[1] بالخلافة، فيقول:

اليومَ أُطْلِعَ للخلافةِ سعْدُها ... وأضاءَ فيها بدْرُها المُتهلّل

لبِسَتْ جلالةَ جعفرٍ فكأنّها ... سَحَرٌ تَجَلّلهُ الصّباحُ المُقْبلُ

جاءَتهُ طائعةً ولم يُهْزَزْ لها ... رُمْحٌ ولم يُشْهرَ عليها مُنْصُلُ

حتى أتَتْهُ يقُودُها استِحقاقُهُ ... ويسوقُها حظٌّ إليه مُقبلُ

عن بيعةٍ إلاّ تكُنْ عَقَيَّبةً ... فهي التي رضِيَ الكتابُ المنْزَلُ

لم تنْصرفْ عنها النفوسُ ولم تَزغْ ... فيها القلوبُ ولم تَزِلَّ الأرجُلُ[2]

يبين الشاعر حال الخلافة الجديدة، التي من حسن طالعها أن يقودها المتوكل، لتتجلى وتستنير به، ويبدو الممدوح في ابهى الصور – كأنه سَحَر لبسه الصبح – ويعلي الشاعر من شأن ممدوحه، فيجعل الخلافة تأتي إليه طائعة ، دون الحاجة إلى قوة الرماح والسيوف، فهو أهل لها، يقودها بإستحقاق ومبايعة محكمة تمت برضى النفوس، وهدى القلوب، وثبات الأقدام.

وفي موقع آخر، يصور البحتري المتوكل، أثناء سيره إلى دمشق، واصفاً مكانته، وقدره، وعدله، منتقلا إلى تهنئة أهل الشام بقدوم الخليفة إليهم، وبيان صورة هذا القدوم، لنرى قدومه، كقدوم المطر المحمّل بالخيرات، وأخرى يغدو سحاباً يفيض عليهم بجوده، وتارة يطلع عليهم كبروز البدر في كبد السماء، مشعاً ومضيئاً لهم طريقهم، فهذه صفات الخليفة التي جعلته أهلاً للخلافة، فيقول:

وأنت أمينَ اللهِ بالموضع الّذي ... أبَى الله أنْ يَسْموا إلى قدرهِ قدرُ

تحسَّنتِ الدُّنيا بعدلِك فاغْتدتْ ... وآفاقُها بيضٌ وأكنافُها خُضْرُ

هنيئاً لأهل الشّام أنّك سائرٌ ... إليهم مسيرَ القطرِ يتبعُهُ القطْرُ

تفيضُ كما فاضَ الغَمامُ عليهم ... وتَطْلُعُ فيهم مِثلما طلُعُ البدرُ

---

(1) المتوكل، هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة (٢٠٦هـ)، تسلم الخلافة في عام (٢٣٢هـ)، ويُكنى بأبي الفضل، قُتل سنة (٢٤٧هـ)، أبناؤه محمد المنتصر، محمد المعتز، إبراهيم المؤيد، انظر: المسعودي، مروج الذهب، مجلد ٤، ص (٨١).

(2) البحتري، الديوان، شرح محمد التونجي، الطبعة الأولى، ج٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٩١٧).

ولـــن يعـــدموا حُـــسْناً إذا كُنْـــتَ فـــيهم وكـــان لهُـــم جـــاران: جـــودُك والبحـــرُ[1]

ومن المعاني الّتي تحملها التهاني بالمناصب، تركيز الشعراء على الصبغة الإسلامية لـدى الخلفاء، وبيان الحق الشرعي في هذه الخلافة، وإظهار صفات الخليفة الّتي يتمتـع بهـا، مثـل الحزم، والرأي، والحكمة، وهي مقومات قيادة الأمة، ومنها ما يقدمه سلم الخاسـر فـي تهنئـة لموسى الهادي[2] بالخلافة، فيقول:

لمّـــا أتَـــتْ خيـــرَ بنـــي هاشـــمٍ خلافـــــــةُ اللهِ بجُرجـــــــان

شـــــمَّرَ لِلحـــــزمِ سَـــــرابيلهُ بـــــــرأي لا غُمْـــــــرٍ ولا وانِ

لـــم يُـــدخل الـــشَّورى علـــى رأيـــهِ والحـــــزمُ لا يُمْـــــضيهِ رأيـــــانِ[3]

عبّر الشعراء في قصائدهم عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الخليفة، مصرحين بما يحملونه إليه من المحبة والطاعة، حيث تصبح تهنئاتهم بهذه المناسبة وسيلة لإظهـار المحبـة للخليفـة، ومناسبة للبوح بهذه المشاعر الّتي تضطرم داخلهم، ليعلم بها الخليفة والناس كذلك، ومنها تهنئـة الحسين بن الضحّاك للواثق[4] بالخلافة، فيقول:

أكـــــاتِمُ وجـــــدي فمـــــا ينكـــــتمْ بمـــــن لـــــو شـــــكوتُ إليـــــه رَحِـــــمْ

وإنـــــي علـــــى حُـــــسنِ ظنّـــــي بـــــه لأحـــــــذرُ إن بُحـــــــتُ أن يَحتَـــــشمْ

ولـــــي عنـــــد لحظتـــــه روعـــــةٌ تُحقّـــــق مـــــا ظنَّـــــه المـــــتّهمْ

وقـــــد علِـــــم النـــــاسُ أنـــــي لـــــه مُحـــــبٌّ وأحـــــسَبه قـــــد علِـــــمْ

وإنـــــي لمغـــــضٍ علـــــى لوعـــــةٍ مـــــن الـــــشّوق فـــــي كَبِـــــدي تـــــضْطرمْ[5]

---

(1) البحتري، الديوان، شرح محمد التونجي، ج١، ص (٤٩٤).

(2) موسى الهادي، موسى بن محمد الهادي، يُكنى أبا جعفر، بويع الخلافة وهو ابن أربع وعشرين سنة، دامـت خلافته سنة وثلاثة أشهر (ت١٧٠هـ)، انظر المسعودي، مروج الذهب ، ج٣، ص ٣٠٥.

(3) سلم الخاسر، الديوان، نايف محمود معروف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي،بيروت، ص (١١١).

(4) الواثق، هو أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم، ولد سنة (١٨٦هـ)، كان واسع المعـروف، متفقـداً للرعية، ت (٢٣٢هـ)، انظر: المسعودي، مروج الذهب، مجلد ٤، ص (٦٣).

(5) الضحّاك، الديوان، ص (١٧٠).

في حين يرى الشاعر علي بن الجهم في خلافة الواثق، مبلغ سرور الرعية، فهو يجمع بين أمور الدين، ومتطلبات الدنيا، صاحب العدل، والعطايا، ينشر الإحسان بأفعاله بين الناس، مما جعل الناس يكثرون له بالدعاء وبطول العمر، فيقول:

قد فازَ ذو الدُّنيا وذو الدِّينِ ... بدولةِ (الواثقِ هارون)

أفاضَ من عدلٍ ومن نائلٍ ... ما أحسنَ الدُّنيا مع الدّينِ

وعَمَّ بالإحسانِ من فِعْلِهِ ... فالنّاسُ في خَفْضٍ وفي لينِ

ما أكثرَ الدَّاعي له بالبقا ... وأكثرَ التّالي بآمينِ[1]

يبين الشعراء في تهنئاتهم بالخلافة الجديدة، استبشار الناس بها، حيث يُصوّر طريح بن إسماعيل الثقفي[2] مشاعر الناس واستبشارهم عندما أفضت الخلافة إلى المنصور، فعمّ الرضى والفرح بين الناس بالخليفة، الّذي نال ما لم يستطع غيره أن يناله أو يقترب منه، حتى لو اجتهد، ليصل الشاعر في ختام تهنئته ببيان صدق قوله بهذه الخلافة، وبعده عن الكذب والافتراء، فيقول[3]:

لمّا أتى النَّاسُ أنَّ مُلكَهُمُ ... إليكَ قد صارَ أمْرُه سَجَدُوا

واستبشروا بالرِّضا تَبَاشُرَهُمْ ... بالخُلدِ، لو قيلَ إنّكُم خُلُدُ

كنتُ أرى أن ما وجدتُ من ... فرحةٍ لم يلقَ مثلَهُ أحدُ

حتى رأيت العبادَ كلَّهُمُ ... قد وجدوا فيك مثل ما أجِدُ

قد طلبَ النّاسُ ما بلغتَ فما ... نالوا ولا قاربوا وقد جَهدوا

قد صَدَّق اللهُ مادِحيكَ فما ... في قولِهم فِرْيَةٌ ولا فَنَدُ[4]

---

(1) علي بن الجهم، الديوان، تحقيق خليل مردم بك، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص (١٨٨).

(2) طريح بن إسماعيل بن عبيد الثقفي، يُكنى بأبي الصلت، نشأ في دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وإدراك دولة بني العباس، مات في أيام المهدي سنة (١٦٥هـ)، الأغاني، مجلد/ ٤ (ص ٣٠٤).

(3) طريح بن إسماعيل الثقفي، الديوان، جمع وتحقيق: بدر أحمد ضيف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص (٨٣).

(4) فند: كذب، وباطل، مادة (فَنِدَ).

ومن الصور الجميلة في التهنئة بالخلافة، ما قدمه أبو العتاهية للمهدي حين صور الخلافة بعروس تهدى إليه في أجمل صورها، هذه الخلافة التي هي متناغمة مع شخصيته، فهو لا يصلح إلاّ للخلافة، والخلافة لا تصلح إلاّ له، بحيث لو تقدّم لها شخص غيره لزلزلت الأرض، ودكت معالمها، فيقول:

أتتْهُ الخلافةُ مُنْقادةً إليهِ، تجرّرُ أذْيالَهَا
ولم تكُ تَصْلحُ إلاّ لهُ، ولم يكُ يصْلحُ إلاّ لها
ولو رامَها أحدٌ غيرَهُ، لزُلزلتِ الأرضُ زلْزالها[1]

أما الخليفة بما له من صفات وما يسود عهده من رخاء ، فيصوّرها الحسين بن الضحّاك في تهنئة المنتصر[2] بالخلافة، لتتجدد الدنيا بهذا الملك الجديد، ويقابل الزمان المجدد بالترحيب بهذه الدولة الرشيدة، حيث أخذت لها بيعة شدّت من عُرى الدين، وبهذا يقدم الشاعر معنى جديد للتهاني، وذلك أن الخلافة أصبحت تُهنئ المنتصر بإجماع الأمة عليه، فيقول:

تجدَّدتِ الدُّنيا بمُلْكِ "محمدٍ" فأهلاً وسهلاً بالزمانِ المُجدَّدِ
هي الدولةُ الغرّاءُ راحَتْ وبكّرتْ مُشهَّرةً بالرّشْدِ في كلِّ مَشْهدِ
لعمري لقد شَدَّتْ عُرى الدِّينِ بيعةٌ أعزَّ بها الرحمنُ كلَّ موحّدِ
هَنتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ جَمعتَ بها أهواءَ أمّةِ أحمدِ[3]

وقد يذكر الشعراء في التهنئة بهذه المناسبة، حال الخلافة القديمة، ومقارنتها بالخلافة الجديدة، فها هو إبراهيم الموصلي يهنئ هارون الرشيد بالخلافة، ويشبه الخلافة بالشمس المريضة، فما أن تقلدها هارون حتى غدت بهية مشرقة، فيقول:

ألم ترَ أن الشمسَ كانت مريضة فلمّا أتى هارون أشرق نورُها
تلبست الدنيا جمالاً بملكه فهارون واليها ويحيى وزيرُها[1]*

---

(1) أبو العتاهية، الديوان، مجيد طراد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص (٣٣١).

(2) المنتصر: محمد المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد (٢٢٢هـ)، كان يتصف بسعة الاحتمال، وكثرة المعروف، دامت خلافته ستة أشهر (ت٢٤٨هـ)، انظر المسعودي، مروج الذهب، مجلد/ ٤ ص (١٢١).

(3) الحسين بن الضحّاك، الديوان ، ص (٦٤).

وقد يغدو الشعر وسيلة من وسائل الاعتراف، الذي يقدم بحق الخلافة والقيادة وبيان الحق في تولي الخلافة التي تنتقل انتقالاً شرعياً من الوالد إلى الولد، فيصف أعرابي دخل على الخليفة المهدي حقهم في خلافتهم، وانتقال هذا الحق إلى أهل بيته، فيقول الأعرابي[٢]:

لكم إرثُ الخلافةِ من قريشٍ ... تُزف إليكم أبدا عروسا
فتملك أربعيك مباركات ... وتورثُها ولي العهد موسى
إلى هارون تُهدى بعد موسى ... تميس وما لها أن لا تميسا[٣]

وما يمكن الإشارة إليه في هذه المناسبة (الخلافة) الجمع بين التعزية والتهنئة، فالتهنئة التي يوجهها الشعراء إلى الخليفة حين تؤسّد إليه الأمور، فيقدمون إليه العزاء بفقد سلفه – وغالباً ما يكون والده أو أخاه – ويباركون عقب ذلك خلافته الجديدة، قارنين بهذا الأسلوب الأشياء وأضدادها[٤].

وهذه الظّاهرة (الجمع بين التعزية والتهنئة)، تعود إلى ما قبل العصر العباسي، فقد روى أن أوّل من عزّى نفسه وهنّأها بالخلافة هو الوليد بن عبد الملك، فقد قام على المنبر بعد موت عبد الملك، فقال: (يا لها من مصيبةٍ، ما أفجعها وأعظمها، وأحدّها، وأوجعها وأعمّها، موت أمير المؤمنين، ويا لها من نعمةٍ، ما أعظم المنّة من الله عليّ فيها، وأوجب الشكر له بها، خلافته التي تسر بلتها"[٥].

ويُذكر في موضع آخر، "أن أوّل من هنّأ وعزّى في مقام واحد، عطاء بن أبي الثقفي، عزّى يزيد بن معاوية بأبيه، وهنّأه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام"[٦]، فقام ابن همام

---

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، الطبعة أأولى، ج٤، دار الذخائر، قم، إيران، ص (٤٠٩).*(يحيى:يحيى بن خالد بن برمك، وزير هارون الرشيد).

(2) المصدر السابق ، ص ٤٠٨.

(3) تميس، تتسع، مادة (مَأس).

(4) محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص (٢١٤).

(5) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٥٧).

(6) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد/ ٣، ص (٦٨)، وانظر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج/٤، ص (٤٠٩).

السّلولي[1] داعياً يزيد إلى الصبر في فراق أبيه، والشكر لمن اصطفاه في قيادة الناس كلهم، ليصبح الخلف لهم بعد أبيه، فيقول:

إصبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ ... واشكرْ حِباءَ الّذي بالمُلك حاباكا

أصبحتَ تَمْلُكُ هذا الخلقَ كلَّهُمُ ... فأنت ترعاهُمُ والله يَرْعاكَا

ما إنْ رُزِي أحدٌ في الناسِ نعْلمُهُ ... كما رُزئْتَ ولا عُقبى كعُقباكا

وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ ... إذا نُعيتَ ولا نسمعْ بمنعاكا[2]

ويُذكر أن أوّل رسالة عباسية اختلطت فيها التهنئة بالتعزية، هي رسالة أبي مسلم الخرساني إلى المنصور يعزيه بوفاة أخيه السفّاح، ويهنئه بالخلافة، وكان ذلك في سنة (١٣٦هـ)[3].

فبعد أن فُتح للناس باب القبول في التعزية والتهنئة معاً، جرى الشعراء على هذه السنن، فقال أبو نواس يعزى الفضل بن الربيع عن هارون الرشيد، ويهنئه بمحمد الأمين، فيبين الشاعر بدءاً خبر وفاة الخليفة، أكرم الأحياء سواء أيام وجوده، بما قدمه من خير، أو بما بقي من مآثره، ومناقبه بعد مماته، كما يشير إلى سنة الحياة وتصاريف الأيام في الموت والحياة، ومساوئ الأيام ومحاسنها، وإلى الحقيقة الكونية لعدم دفع القدر إن حان الأجل، فيقول أبو نواس[4]:

تعزَّ أبا العبّاس عن خيرها لك ... بأكرم حيٍّ كان أو هو كائنُ[5]

حوادثُ أيّامٍ تدورُ صروفُها ... لهُن مسآوٍ مرةً ومحاسنُ

وفي الحيُّ بالميْتِ الّذي غيَّبَ الثرى ... فلا أنت مغبونٌ، ولا الموتُ غابنُ[1]

---

(1) عبد الله بن همام السلولي: من بني مُرّة، شاعر إسلامي، عدّه ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام، ت نحو (١٠٠هـ)/ (٧١٨م)، انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الثانية، ص (٣٩٥).

(2)المبرد، الكامل في اللّغة والأدب، تحقيق، محمد أحمد الدّالي، الطبعة الأولى، مجلد/ ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص (١٤٨٤)، وانظر الحصري، زهر الآداب، قاسم محمد وهب، القسم الأوّل، منشورات وزارة الثّقافة، ص (١٣١).

(3) محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ص (٢١٤).

(4) أبو نواس، الديوان، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص (٥٨١).

(5) أبو العباس، هو الفضل بن الربيع بن يونس، كان وزيراً للرشيد بعد نكبة البرامكة، كاتب وشاعر مقل،ت(٢٠٧ه)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، مجلد/ ٤، ص (٣٧).

ولا يغفل الشعر المكانة الدينية للخليفة، ودوره في نصرة الدين، فيقول ابن الزّيات في تعزية المعتصم، وتهنئة الواثق بالخلافة، بعد أن وضع في مثواه الأخير ، مستدركاً مناقبه ودوره في إعانة الناس على مصائب الدنيا ومساندته ودفاعه ونصرته لهذا الدين، لتغدو الأمة كأنها قد تفرقت بعده، ولا سبيل إلى التحامها وتماسكها إلا بمثل هارون، ولعل هذه رسالة إلى الخليفة الجديد في أن يسير على خطى من سبقه، فيقول ابن الزّيات:

أقـــولُ إذ غيّبـــوك، واصْـــطَفقتْ عليـــك أيْـــدٍ بـــاللَّبْنِ والطِّـــينِ
اذهبْ، فـنِعْمَ الحفـيظُ كنـتَ علـى الدْنـــ ـــيا ونعـــمَ الظَّهيـــرُ للـــدِّينِ
لـــن يُجْبُـــرَ اللهُ أمّـــةً فقـــدتْ مِثْلـــكَ إلاّ بمثـــلِ هـــارون[٢]

ويفتتح الحسين بن الضحّاك قصيدته في تهنئة الواثق بالخلافة وتعزيته عن موت المعتصم، متسائلاً عن فزع الإسلام بموت ناصره، فما أن لبثت نفسه أن تجيب عن واجب فزع هذا الدين عمّن كان نصيراً له، ولا يجد الشاعر السلوة عن الحزن بهذا الفقيد إلا بالواثق ذي الخصائل المحمودة، من العطف والبر والكرم، فيقول:

ألـم يَـرُع الإسـلامَ مـوتُ نَـصيره بَلـى حَـقَّ أن يَرتـاعَ مـن مـات ناصـرُه
سَيُـسليكَ عمـا فـاتَ دولـةٌ مفـضلٍ أوائلُـه محمـودةٌ وأواخـرُه
ثنـى الله عِطفَيـه وألّـفَ شَخـصَه علـى البـرِّ مُـذْ شُـدَّت عليـه مـآزرُه
يَـصبُّ ببـذلِ المـال حتـى كأنّمـا يـرى بذلـه للمـالِ نهبـاً يُبـادرُه[٣]

ومن القصائد الطوال التي تضمنت التعزية والتهنئة معاً، ما قاله أبو تمام في رثاء المعتصم بالله، ومدح الواثق وتهنئته بالخلافة، مقسماً قصيدته إلى غرضين أساسيين، فيبدأ برثاء المعتصم من خلال صورة حزينة، بدءاً بالدموع والجفون الفاقدة للنوم، والحديث عن قبر المعتصم، وبيان أثر فقدانه على الإسلام، الذي خسر أهم دعائمه، فيقول[٤]:

مـا للـدُّمُوع تَـرُومُ كـلَّ مَـرام والجفْـنُ ثاكِـلُ هجْعـةٍ ومَنَـام

---

(1) المغبون: المختفي، أو الضعيف، الناقص، مادة (غَبِنَ).
(2) ابن الزّيات، الديوان، يحيى الجبوري، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م، ص (٢٧٣).
(3)الحسين بن الضحاك، الديوان ، ص (٦٠).
(4) أبو تمام، الديوان، مجلد/٢، ص (١٠٥).

يـــا حُفْـــرةَ المعْـــصُوم تُربُـــكِ مُـــودَعٌ مـــــاءَ الحيـــــاةِ وقاتِـــــلُ الإعَـــــدام

فَتَـــــقَ المـــــدامِع أنَّ لَحْـــــدَكِ حَلَّـــــةٌ ســـــكنُ الزَّمـــــان ومُمـــــسِكُ الأيّـــــام

هَـــدَمَتْ صُـــروفُ المـــوتِ أرفـــعَ حـــائطٍ ضُـــربَتْ دعائِمُـــهُ علـــى الإســـلام

دَخلـــتْ علـــى مَلـــك المُلُـــوكِ رِوَاقُـــهُ وتَـــشزَّنَتْ لِمُقـــوّم القُـــوَّام[1]

ثم ينتقل إلى مدح الواثق، فيقدّم التهنئة له بالخلافة، الّتي ورثها عن أهله، مبيناً أهميته، فهو خير من يقود الخلافة بعد المعتصم، حيث يقدم الناس عليه راضين، كأنهم يريدون أن يمشوا على وجناتهم، وأعينهم محدّقة بالأرض إجلالاً ، لم له من المحبة والإعظام، فيقول:

أخـــذَ الخلافـــة عـــن أســـنَّتِه الّتـــي مَنَعـــتْ حِمَـــى الآبـــاءِ والأعمـــام

مـــا دامَ هـــارونُ الخليفـــة فالهُـــدى فـــي غبطـــةٍ مَوْصـــولةٍ بـــدوام

إنَّـــا رحلنـــا واثقـــين بواثـــقٍ بـــالله شـــمس ضُـــحى وبـــدر تمـــام

لـــو يقْـــدِرُونَ مـــشوْا علـــى وجنـــاتِهِمْ وعيـــونِهِمْ فَـــضْلاً عـــن الأقـــدام

قُـــسِمَتْ أميـــرَ المـــؤمنين قلُـــوبُهمْ بـــين المحبّـــةِ فيـــك والإعظـــام[2]

ويمزج الشاعر أشجع السلمي بين رثاء الرشيد وتهنئة الأمين بالخلافة الجديدة، مبيناً حقهم في متابعة نظام الحكم، وحالة حزن الناس على من فُقد، وسرورهم بمن قدم، فيكون السلام على من ولّى، والسلامة لمن قدم، فيقول:

إمـــامٌ قـــامَ حـــين مـــضى إمـــامٌ نظـــامٌ لـــيس ينقطـــعُ النظـــامُ

بكـــى ذاك الأنـــامُ أســـى ووجـــداً وســـرّ بـــذا الّـــذي قـــام الأنـــامُ

مـــضى الماضـــي وكـــان لنـــا قوامـــاً وهـــذا بعـــد ذاك لنـــا إمـــامُ

علـــى ذاك الـــسلامُ غـــداةَ ولّـــى ودام لـــذا الـــسلامةُ والـــسلامُ[3]

يبدو أن كثيراً من المعاني الّتي قدمها الشعراء في التهنئة والتعزية، تكاد تكون متقاربة فيما بينها، من خلال ذكر مناقب من مات، وبيان صفات الخليفة الجديد، ومنها ما قدمه سلم الخاسر من تهنئة وتعزية، لمّا تولّى الهادي الخلافة، حيث يهنئه بالخلافة الّتي فاز بها بعد وفاة أمير المؤمنين، الّذي كان فقدانه فاجعة للبرية، لا سبيل لتخفيفها إلاّ بالهادي، فيقول:

---

(1) تشزّنت، تهيّأت.مادة(شزن) المعجم الوسيط.

(2) أبو تمام، الديوان، مجلد/٢، ص (١٠٥).

(3) أشجع السلمي، الديوان، ص (٢٥٨).

لقـــد فـــازَ بالخلافـــةِ والهـــدى ومـــات أميـــرُ المـــؤمنين محمّـــدُ

فمـــات الّـــذي عـــمّ البريـــة فقْـــدُهُ وقـــام الّـــذي يكفيـــك مـــن يتفقّـــدُ[1]

في حين يقدم الشاعر مروان بن أبي حفصة في تهنئة الهادي بالخلافة، وتعزيته بأبيه المهدي، صورة لقبر المهدي الّذي أصبحت المقابر تختال به في كل بلدة، كما يبين الشاعر دور الخليفة الجديد (الهادي) في تسلمه مكان أبيه، فيقول:

لقـــد أصـــبحتْ تختـــالُ فـــي كـــلِّ بلـــدةٍ بِقَبْـــرِ أميـــرِ المُـــؤمنينَ المقَـــابرُ

ولـــو لـــم تُـــسَكَّنْ بابنـــهِ بعـــد مَوْتِـــهِ لمـــا بَرِحَـــتْ تبكـــي عليـــه المنـــابرُ[2]

ويعبّر عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي، عن التعزية والتهنئة معاً، حيث يهنئ العزيز بخلافة مصر، ويرثي أباه المعز مستخدما (المحنة والمنحة)، فالمحنة في موت الخليفة، هذا الخطب الّذي عمّ البلاد، سهولها وجبالها، والمنحة في تولي العزيز مقاليد الحكم، ومتابعة مسيرة أبيه، حيث يخلع عليه صفات أبيه الخلافية، فيقول[3]:

قـــد أصـــبح الجـــوهرُ العُلـــويّ منـــتقِلاً في خيرِ مَنْ كان مِـــنْ خيـــرِ الـــورى بَـــدَلا

يـــا مِنْحـــةً كملـــتْ فـــي مِحْنَـــةٍ عظُمـــتْ لـــولاك فـــي الـــدّهرما نـــال امـــرءٌ أمـــلا

صُـــنْعٌ مـــن اللهِ فـــي خَطْـــبٍ أتِـــيحَ لنـــا عـــمَّ الـــبلادَ وعـــمَّ لـــسهلَ والجـــبلا

قـــام العزيـــزُ بمـــا أفـــضى المُعِـــزُّ بـــهِ إليـــهِ مُـــضْطلِعاً بالعِـــبء مُحْـــتمِلا

فقـــام أحفـــظَ مُـــسْترعى رَعَـــى فكفـــى مـــن بعـــد خيـــرِ إمـــامٍ قـــوّم المَـــيَلا

كالـــسيفِ مُنْـــصلِتا والبحـــرِ مُنْـــدَفقاً والبـــدرِ مُؤْتلِقـــا والغيـــثِ مُحْـــتَفِلا[4]

أكثر الشعراء في العصر العباسي من تقديم التهاني للخلفاء، حيث ركزوا على الإشادة بهؤلاء الخلفاء، وإلى حق العباسيين في الخلافة، فهم من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، والحق في انتقالها انتقالاً شرعياً من الآباء إلى الأبناء، كما ركّز الشعراء على صفات الخليفة الجديد الّتي جعلته أهلاً للمكانة الّتي تبوأها، وإبراز الدور الديني للخليفة في نصرة الإسلام وأهله، وقد بدأت التهاني في العصر العباسي بصور تقليدية، من الدعاء للخليفة، والتمتع بإقبال

---

(1) سلم الخاسر، الديوان، ص (٩٦).

(2) مروان بن أبي حفصة، الديوان، ص (٥٨-٥٩).

(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج/٤ – ٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص (١٣٤).

(4) مُنْصلِتا: خارج من غمده، مادة (صلَتَ).المعجم الوسيط.

الأيام، وإدبارها، ودوام العافية، إلا أن هناك شعراء حاولوا الخروج عن هذه الصور، فقدموا معاني جديدة للتهاني، وذلك كما رأيناهم في جعل الخلافة تهنئ صاحبها، وتقدم إليه منقادة، أو تهنئ الخليفة بإجماع الأمة عليه، كما كان يشيع في هذا العصر ظاهرة التعزية والتهنئة معاً، التي ظهرت قبل العصر العباسي، ولكنها انتشرت ونضجت في هذا العصر، ويتم فيها ذكر مناقب من مات، ووصف محاسن من أتى، ولعل هذه الظّاهرة تحتاج إلى معرفة بأصول الكلام الذي يلائم هذه المناسبة.

ثانياً: التهنئة بولاية العهد

لم يكن في العصر الراشدي ولاية عهد، وإنما كان يجتمع المسلمون على شخص صالح لها بعد موت الخليفة ويبايعوه، أما في العصر الأموي والعباسي قد أصبحت ولاية العهد وراثية، فقد كان الخليفة العباسي يعين ولي عهده، ويأخذ له البيعة في حياته من وجوه الناس والأعيان وكبار القوّاد، وعن طريق الولاة في الأقاليم[١].

يذكر أن أوّل من اختار الخليفة بعده من أبنائه الأقربين، معاوية بن أبي سفيان، حيث اختار ابنه يزيد وأخذ البيعة له، وصار الخلفاء من بعده يعهدون على هذا النمط، واستمرت ولاية العهد تنتقل بين أولاد الخلفاء وإخوانهم وأقربائهم الأقربين، أما في العهد العبّاسي فقد اتخذت شكلاً جديداً، وذلك أن يبايع الخليفة بولاية العهد إلى الأخوين معاً، حتى إذا استولى الأول منهما على الخلافة دعا الثاني إلى التخلص من حقه، مما أدّى إلى وقوع الخلافات بين الأهل[٢].

حافظ الخلفاء العباسيون على وجود ولي العهد، لما له من أهمية في الخلافة، ومنها ما قام به الرشيد في محاولة لقطع الطريق على كل من يحاول الوصول إلى السلطة من غير أهل بيت الخلافة، فقد عقد لابنه محمد بولاية عهد المسلمين وأخذ له بذلك بيعة القوّاد والجند، وله يومئذ خمس سنوات[٣]، فيقول سلم الخاسر في هذه البيعة، مبيناً أنها بادرة خير لهذه الأمة، خاصة أنّه ابن الخلائف أباً وجداً، بل ذهب إلى أن هذه البيعة لم تكن عملاً فردياً من خليفة المسلمين، إنما هو عمل باركه الإنس والجن وقدموا البيعة إلى مهدى الهدى، فيقول:

قد وقّقَ اللهُ الخليفةَ إذ بنى ... بيتَ الخليفةِ لِلْهجانِ الأزهرِ
فهو الخليفةُ عن أبيهِ وجَدّهِ ... شهدا عليه بمنظرٍ وبمخبرِ
قد بايعَ الثقلانِ في مَهْدِ الهُدَى ... لمحمّدِ بن زُبيدةَ ابنةِ جعفرِ[٤]

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد تم الإشهار بولاية العهد، لتصل إلى جميع المناطق والولايات، فقد قام الفضل بن يحيى والي خرسان، بجمع الناس، وفرّق فيهم أموالاً، وأعطى

---

(1) إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص (٢١٣-٢١٤).

(2) يوسف العش، الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص (٤٣-٤٤).

(3) الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٤، ص (٦٢٦).

(4) سلم الخاسر، الديوان، ص (١٠٢).

الجند أعطيات، ليظهر بيعة محمد بن الرشيد، ولكي يبايعه الناس، فقال في ذلك النّمري، مبيناً مباركة الناس لهذه الولاية، وتقديم البيعة المحكمة التي لا انفكاك لها، فيقول:

أمسَتْ بمِرْوَ على التَّوفيقِ قد صَفَقَتْ ... على يَدِ الفَضْلِ أيْدِي العُجْمِ والعَرَبِ
لبيعةِ لوليِّ العَهْدِ أحكَمَها ... بالنُّصْحِ منهُ وبالإشْفاقِ والحَدَبِ
قدْ وكَّدَ الفضلُ عِقْداً لا انتِفاضَ لهُ ... لمصطفى عَن بني العبّاس مُنْتَخَبِ[1]

ويسهب الشعراء في هذه المناسبة، بمدح ولي العهد، وإظهار صفاته، ومنها ما قدمه الشاعر سلم الخاسر في بيعة هارون الرشيد لابنه ولاية العهد، فيقدم التهنئة من خلال استجلاء صفات ولي العهد،الذي يخلع عليه مجموعة من الصفات التي تجعله فوق البشر، فهو صاحب العقل الراجح، الخلق الكريم، العالم، العادل، الصادق،... فهو جدير بولاية العهد، فيقول:

بايَعَ هارونُ إمامُ الهُدَى ... لِذِي الحِجَى والخُلُقِ الفاضلِ
المُخلِفِ المُتْلِفِ أموالَهُ ... والضامِنِ الأثقالَ للحامِلِ
والعالِمِ الناقِدِ في علمِهِ ... والحاكِمِ الفاضِلِ والعادِلِ
والرّاتِقِ الفاتِقِ حِلْفَ الهُدى ... والقائِلِ الصادِقِ والفاعِلِ
لخيرِ عبّاسٍ إذا حُصِّلوا ... والمفْضِلِ المُجْدِي على العَائِلِ[2]

ومما يلاحظ في هذه المناسبة الإشارة إلى علاقة الأبوّة والبنوّة، حيث إن غالبية ولاة العهود هم أبناء للخلفاء، أو إخوانهم، وفي بيان قوة أواصر هذه الرابطة بينهما، ومنها ما قدمه الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي في مدح بني المتوكل الثلاثة، المنتصر، والمعتز، والمؤيد، حيث يبين هذه العلاقة المتماسكة بين الأب وأبنائه، فالمتوكل غدا قمراً محاطاً بأقمار، حتى أنّ الشاعر لم يكتفِ بالوصف الخارجي لهذه العلاقة، بل يشير إلى مكامنها، فالفعل (يكتنف) يشير أكثر ما يشير إلى ذلك التلاصق والترابط بين الأب وأبنائه، في كل حال من الأحوال، فيقول:

أضحتْ عُرَى الإسلامِ وهي مَنُوطةٌ ... بالنّصرِ والإعزازِ والتأييدِ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ ... كَنَفُوا الخلافةَ عن وُلاةِ عُهودِ

---

(1) النمري، الديوان، جمع وتحقيق، الطيّب العشاش، دار المعارف للطباعة، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص (٧١).

(2) سلم الخاسر، الديوان، ص (١٠٧).

قمـــــرٌ توافـــــتْ حولـــــهُ أقمـــــارُهُ فَحَفَفْـــــنَ مطلـــــعَ سِـــــعْدِهِ بـــــسُعُودِ

رَفَعـــــتُهمُ الأيّـــــامُ وارتفعـــــوا بـــــهِ فـــــسعوْا بـــــأكرمِ أنْفُـــــسٍ وجُـــــدُودِ[1]

وهي فكرة ألحّ عليها الشعراء، فيقول إبراهيم بن العباس الصولي، في موقع آخر مشبهاً الأب (المتوكل) وأبنائه بالكواكب مرة، وأخرى بالشمس المكللة بين الشموس، فيقول:

ولمّـــا بـــدا جَعفـــر فـــي الخَمـــي س بـــين المَطّـــل وبـــين العـــرُوس

بـــدا لابـــساً بهمـــا حُلَّـــةً أزيلـــتْ بهـــا طالعـــاتِ النُّحُـــوس

ولمّـــا بـــدا بـــين أحْبَابِـــهِ وُلاةِ العُهُـــودِ وعـــزِّ النُّفُـــوس

غـــدا قمـــراً بـــين أقمـــارِهِ وشمـــساً مكلّلـــة بالـــشُّمُوس[2]

وقد كان الشعراء يكثرون من ذكرها بأشعارهم، مقدمين التهنئة بهذه المناسبة الكبيرة في تاريخ الحكم العباسي، ومنها قول الشاعر أبان بن عبد الحميد[3] في بيعة الرشيد للأمين، مظهراً سروره لهذه البيعة التي يتمنى لها التمام والتوفيق، موظفاً اسم الممدوح "محمد" في استخراج قيم مدحية جميلة وذلك أنه يُشْبه اسم رسول الله "صلى الله عليه وسلّم"، وهذا ما أظهرته شمائله وهو صغير كأنه شهاب في ظلمة، فيقول:

عقـــدَ الخليفـــةُ بيعـــةً لمحمـــدٍ فعلـــى التمـــام

لِـــسمِّى مهـــديِّ الملـــو كِ محمـــدٍ خيـــر الأنـــام

سِـــيما الخلافـــةِ بـــينٌ فـــي الوجـــهِ منـــه مـــع الفطـــام

نـــور كواضـــح غـــرّة الـــ ـــبدر المنّـــور فـــي الظـــلام[4]

---

(1) إبراهيم بن العباس الصولي، الديوان، أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (١٩٥).

(2) إبراهيم الصولي،الديوان، ص (٢٠٦).

(3) أبان بن عبد الحميد: ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاعي، شاعر مكثر، من أهل البصرة، انتقل إلى بغداد واتصل بالبرامكة، فأكثر في مدحهم، اتصل بالرشيد فكان من شعرائه، ت (٢٠٠هـ/٨١٥م)، انظر: أبو فرج الأصفهاني، الأغاني،المجلد الثالث والعشرون،ص(٢٠).

(4) الصولي، أخبار الشعراء، المسمى كتاب الأوراق، جمعه، ج هيوارن، د.ن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص (٢٢).

ويصور الشعراء إقبال الناس على ولي العهد، فهذا رجل من بني تميم يبين في ولاية عهد المهدي ، إجماع الناس عليه بالطاعة، كما يبين الشاعر صورة ولي العهد الّتي سيكون عليها، فهو الّذي سينشر العدل في الأرض ليعمّ الناس جميعاً، وسيكون الخليفة بعد والده، فيقول:

يا ابن الخليفة إنّ أمّة أحمدٍ ... تاقت إليك بطاعة أهواؤها

ولتملأنَّ الأرضَ عدلاً كالذي ... تاقت إليك بطاعة أهواؤها

حتى تمنَّى لو ترى أمواتها ... من عدل حكمِكَ ما ترى أحياؤها

وعلى أبيك اليوم بهجة ملكِها ... وغداً عليك إزارها ورداؤها[1]

ولما لولاية العهد من أهمية، فصاحبها هو الخليفة المقبل، كان لا بد من التأكيد على سلامة من يتولى ولاية العهد، فإن كان ولي العهد غير مقبول، "خُلِعَ"، وولي غيره. يذكر أن المعتمد جلس للقوّاد والقضاة، ووجوه الناس، وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوّض إلى الله جعفر من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، فقال يحيى بن علي يهنئ المعتضد بولاية العهد[2]:

ليَهنك عقدٌ أنت فيه المقدَّمُ ... حباك به ربٌّ بفضلك أعلمُ

فإن كنتَ قد أصبحت ولي عهدنا ... فأنت غداً فينا الإمامُ المُعظّمُ

ولا زال مَنْ ولاك فينا مبلّغاً ... مُناه، ومن عاداك يشجى ويُرغمُ

وكان عمودُ الدّين فيه تأوُّدٌ ... فعاد بهذا العهد وهو مُقوّمُ

وأصبحَ وجُه المُلكِ جذلان ضاحكاً ... يُضيء لنا منه الّذي كان يُظلمُ

فدونك فاشددْ عقدَ ما قد حويتَه ... فإنّك دون النّاس فيه المُحَكَّمُ[3]

يشير الشاعر إلى ناحية مهمة في منصب ولاية العهد، وهي التطلع إلى الخلافة التي سينالها بعد أبيه، فهو الأحق بها في المستقبل، حيث إنه مُنى الخليفة الّذي وضعه في هذا المنصب، كما يشير إلى أهمية هذه المكانة من الناحية الدينية، فهو المقوّم للدين، ليصبح به الملك فرحاً جذلان بعد أن كان مظلماً، فالشاعر يقدم تهنئة تحمل معنى جديد، وهي أن العقد يهنئ صاحبه، وذلك لأنه هو المقدّم.

---

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج/ ٤، ص (٤١٠).

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد/ ٧، دار صادر، بيروت، لبنان، ص (٤٥٢).

(3) المصدر السابق نفسه، ص (٤٥٢).

يحرص الخلفاء على ولاة العهد، وبخاصة إذا أحسّ الخليفة بقدوم الأجل، وإن الحياة الدنيا ليست دار خلود له، وإنه مفارقها في يوم ما، وفيها يقول أبو العتاهية عندما عقد الخليفة هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة فيقول:

تجافى عن الدّنيا، فأيقنَ أنّها مفارقةٌ، ليستْ بدار خُلودِ
وشدَّ عُرى الإسلام منه بفتيةٍ، ثلاثةِ أمْلاكٍ، وُلاةِ عُهُودِ[1]

وفي مدحهم يقول أبو العتاهية، بأنهم خير الأبناء، لهم خبير الآباء والأجداد، أصحاب مهابة، ويسهب الشاعر في المدح مصوراً أجدادهم بالشموس، والآباء بالأهلة، والأبناء بالنجوم، فيقول:

هُمُ خيرُ أولادٍ لهم خيرُ والدٍ، له خيرُ آباءٍ، مضتْ، وجدودِ
بنو المصطفى هارونَ حولَ سريره، فخيرُ قِيامٍ حوْلَه، وقُعودِ
تُقَلِّبُ الحاظُ المَهابةِ بينهُمْ، عيونَ ظباءٍ في قلوبِ أسودِ
جدودٌ همُ شمسٌ أتَتْ في أهلةٍ تَبَدّتْ لراءٍ في نُجوم سعودِ[2]

ظلت ولاية العهد تستمد قوتها وشرعيتها من الخلافة نفسها في العصر العباسي، وفي هذا العصر يلحظ كثرة تغيّر ولاة العهود، حيث سار العباسيون على نظام تولية العهد أكثر من واحد، فمثلاً، ما قام به السفاح من عهد الخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، ثم إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، فلمّا آلت الخلافة إلى المنصور خلع عيسى بن موسى، وبايع ابنه المهدي، وجعل عيسى من بعده، ولما ولي المهدي الخلافة خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وولى ولديه الهادي ثم هارون الرشيد، وغير هذه الأمثلة كثير، فقد كان لهذه السياسية تأثير على كيان الدولة العباسية، وإثارة الفتن بين المتنافسين[3].

فقد كان لهذه السياسة التي يظهر فيها كثرة التبدّلات بولاية العهد، أثر واضح على كثرة أشعار التهاني بهذه المناسبة التي صوّرها الشعراء بأشكال مختلفة، تملؤها الصور التقليدية، من الدعاء لولي العهد وربطه بالخليفة، ومدح للآباء والأجداد الذين استمدّ منهم ولي العهد مكانته، وبيان أهمية ولاية العهد، حيث ينظر الشعراء إليها على أنها الخلافة المستقبلية، إلا أن بعض

(1) أبو العتاهية، الديوان، مجيد طراد، الطبعة الأولى، ص (١٣٧-١٣٨).
(2) المصدر السابق نفسه، ص (١٣٨).
(3) انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج/٢، ص (٢٠٨-٢٠٩).

الشعراء حاول تقديم معاني جديدة للتهاني، وذلك في سبيل الارتقاء بالممدوح وإعلاء مكانته لجعل ولاية العهد تُهنئ صاحبها بما حازه.

ثالثاً: التهنئة بالوزارة

الوزارة من المناصب العليا في الدولة، والوزارة كما يقول ابن خلدون،" أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إمّا من المؤازرة، وهي المعاونة، أو من الوزر، وهو الثقل، وكأنه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله، وهو راجع إلى المعونة المطلقة"(١).

ولمّا جاءت دولة بني العباس، ارتفع شأن الوزير، وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد، وعنَتْ له الوجوه، وخضعت له الرقاب، والوزير أصبح ساعد الخليفة الأيمن، ينوب عنه في الحكم، وينصّب العمّال، ويُشرف على الضرائب، ويجمع في شخصه السلطتين المدنية والحربية، بجانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته(٢).

ويذكر القلقشندي: "إن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هي أرفع وظائف المملكة، وأعلاها رتبة، وإنها الرتبة الثانية بعد الخلافة وكانت في زمن الخلفاء، تكاد أن تكون كالسلطة الآن، فهي من الأتباع، ومن في معناهم على نحو ما كانت في الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر"(٣).

ويظهر الشعراء مكانة الوزارة، كما يصورها الشاعر مهيار الديلمي في جعل العلا يحوم حول الوزارة، وأهميتها للملك في تهنئة يقدمها إلى عميد الدولة أبي سعد بن عبد الرحيم بالوزارة، حيث يقدّم الشاعر معنى جديد للتهاني وذلك بأنه يهنئ اليوم الذي تولى به الممدوح الوزارة، فيمدح الشاعر الوزارة لأنّ الممدوح تولى إدارتها، حتى تصبح الوزارة لا تصلح إلاّ له، فيقول:

على مثلها كان العلاءُ يحومُ ... وتقعد بالملك المُنَى وتقومُ
ويخفُق قلبُ الدهر شوقاً وتلتظى ... إلى الرِّيّ أيامُ لواغبُ هِيمُ
هنَا اليومَ هذا الأمرُ أنك ربُّه ... وكافلُه بالرأي وهو يتيمُ

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج/١، دار الفكر، ص (٢٣٦).
(2) المصدر السابق نفسه، ص (٢٣٧-٢٣٨).
(3) القلقشندي، صبح الأعشى، شرح، يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، ج/٩، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص (٤).

فـــــلا لُعنـــــتْ أمُّ الـــــوزارة إنّهـــــا لأنجـــب أنثـــى يـــوم عنـــك تقـــومُ

لقـــد ولـــدتْ منـــك الّـــذي لا أخـــا لـــه وهـــل تلـــد العـــذراءُ وهـــي عقـــيمُ[1]

وقد تكون التهنئة مناسبة لعرض الحال، وقضاء الحوائج، فقد قال محمد بن العلاء السجزي: "لمّا ولي عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة، رفع إليّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعـــة فيهـــا تهنئة بالوزارة، فأوصلتها إلى عبيد الله بن سليمان، ومنها:

أبـــى دهرُنـــا إســـعافَنَا فـــي نفوســـنا فأســـعفَنَا فـــي مَـــنْ نُحِـــبُّ ونُكْـــرِمُ

فقلـــتُ لـــه نُعْمَـــاكَ فـــيهم أتِمَّهـــا ودَعْ أمرَنـــا إنَّ المهـــمَّ المقـــدمُ[2]

فضحك وقال لي: يا أبا عليّ، ما ترى كيف لطف بشكوى حاله في تهنئتـــه؟ امـــض إليـــه فأبلغه سلامي، وجئني برقاعه في حوائجه، فمضيت وجئته برقاعه، فوقـــع فـــي جميعهـــا بمـــا أحب[3].

وتحتل الوزارة مكانة مهمة في الدولة الإسلامية، فقد قال الله تعالى، حاكياً عـــن موســـى عليه السلام: "واجعل لي وزيرا من أهلي"[4]، ولما في الوزارة من حكمة وأهمية، فقال: "أشدد به أزري، وأشركه في أمري"[5]، فقد دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكـــة، وتـــنظم أمورها.

وكان يشترط في الوزير لأهمية منصبه باعتباره وسيطاً بـــين الملـــك ورعيتـــه، القبـــول والمحبة و الرضى ، وأن يكون أميناً شجاعاً، وأن تتوافر فيه الكفاءة والشهامة والفطنة والتـــيقظ والدهاء والحزم، وكذلك الفضل والكرم ليصطنع الأنصار، والرفق والإناة والتثبت في الأمور[6].

ومن الأمور التي يُظهرها الشعراء في تهنئتهم لصاحب الوزارة، كمـــا هـــو الحـــال فـــي المناصب العُليا الأخرى في الدولة، بيان مدى الرضى عنه، والإقبال على صاحب هذه المكانـــة

---

(1) مهيار الدّيلمي، الديوان، روائع التراث العربي، الطبعة الأولى، ج/٣، دار الكتـــب المـــصرية، ص (٢٧٦-٢٧٧).

(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٥٧-١٥٨).

(3) المصدر السابق نفسه، ص (١٥٧-١٥٨).

(4) سورة طه، الآية (٢٩).

(5) سورة طه، الآية (٣١).

(6) إبراهيم سليمان الكردي، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، مركز الإســـكندرية للكتـــاب، د.ط، ص (٣٢).

المرموقة، ومنها يمدح البحتري أبا أيوب سليمان بن وهب[1]، ويهنئه بالوزارة، مبيناً حال النفوس في الرضى عنه، فهو الّذي سيعيد الفرحة والحياة إلى هذه الدّيار بعدما أصابها القحط والإصفرار، وبذلك فإن النعمة تهنئ أبا أيوب، فيقول:

أرْضَى الزمانُ نفوساً طالما سَخِطت ... وأعتَبَ الدهرُ قوماً طالما عَتَبُوا
وأكْسفَ اللهُ بالَ الكاشحينَ على ... وَعْدٍ وأبْطلَ ما قالوُا وما كَذبوا
لتَهْنِك النّعمةُ المخْضرُّ جانِبُها ... من بَعْدِما اصفرَّ في أرجائِها العُشبُ[2]

يعد الوزير عوناً للخليفة في تحمل المسؤوليات، وفي هذا عبّر الشاعر سلم الخاسر في تهنئة يعقوب بن داود بالوزارة في عهد المهدي، ليمدح الخليفة والوزير معاً. فالإمامة حق إلهي من السماء، ويعقوب أخوه في الله، ورباط التقوى يجمع بينهما للتعاون على حمل مسؤولية الحكم وأعباء الخليفة، فيقول:

قُل للإمامِ الّذي جاءتْ خلافتُهُ ... تُهدى إليه بحقٍ غيرِ مَردودِ
نِعْم المعينُ على التقوى أعِنْتَ بهِ ... أخوكَ في الله يعقوبُ بنُ داوُدِ[3]

وللوزارة شروط، وقد يلجأ الشاعر إلى الإشارة إليها، ومنها أهمية اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، فقال زيد السَّنْديُّ يهنئ الوزير يعقوب بن كلس بوزارة العزيز[4] بمصر، مشيراً إلى انسجام العلاقة بين الوزير ووزارته، فكأنّ الوزارة عروس عاشقة لمحبوبها، مستفردة بحبها له، وإنها تأبى الانقياد لأي شخص غير الوزير يعقوب، فيقول:

إنّ الوزارةَ لم تزلْ صَبَّة ... تهواك لم يخطُرْ سواك ببالها
خُطبتْ فلم تُعْطِ القِياد لطالبٍ ... وأبت على طُلابها بوصالها[5]

---

(1) سليمان بن وهب: (ت٢٧٢هـ) كان وزيراً للمهتدي وهو أخو الحسن بن وهب الكاتب، انظر: الأغاني، مجلد ٢٣، ص ٣.

(2) البحتري، الديوان،ج/١ ص (٧٦).

(3) سلم الخاسر، الديوان، ص (٩٨).

(4) العزيز بالله، هو نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، كان كريماً وشجاعاً، وحسن العفو عند المقدرة، ت (٣٨٦هـ)، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق، إحسان عباس، مجلد/ ٥، ص (٣٧١).

(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشّامي، الطبعة الأولى، ج/٤-٢٥، دار الكتب العلميّة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص (١٢٤).

وهذا أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي يشير إلى هذه العلاقة المنسجمة بين الوزارة وصاحبها في تهنئة يقدمها إلى وزير مُعاد إلى عمله، فيقول:

قد كنتَ طلّقتَ الوزارةَ بعدما زلّت بها قدمٌ وساءَ صنيعُها
فغدت بغيرك تستحيلُ ضرورةً كيما يحلَّ إلى ذراك رجوعُها
فالآن قد أبت وآلت حلفة أن لا يبيتَ سواك وهو ضجيعُها[1]

يشير الشعراء إلى مدى العلاقة بين الخليفة والوزير، ويظهروها في كثير من الاشعار التي قيلت بالتهنئة بهذه المناسبة، وهي علاقة تبدو أنها وثيقة الترابط، حيث كانت تصوّر بصور مختلفة، فقد ذكر أنّ موقع الوزارة في الدولة كموقع المرآة من البصر،فكما أن مَنْ لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه، كذلك السلطان إذا لم يكن له وزير، لا يعلم محاسن دولته وعيوبها، وموضع الوزير من الدولة، كموضع العينين من الرأس، وكما أن المرأة لا تريك وجهك إلاّ بصفاء جوهرها، وجودة صقلها ونقائها من الصدا، كذلك السلطان لا يكمل أمره إلاّ بجودة عقل الوزير[2].

وفي هذه العلاقة بين الخليفة والوزير، ذُكر أنّ الرشيد قلّد يحيى بن خالد بن برمك الوزارة، وقال له: قد قلّدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وامض في الأمور على ما ترى، ودفع إليه خاتمه[3].

ففي ذلك يقول إبراهيم الصّولي،ت(٣٣٦):

ألم ترَ أن الشمسَ كانت سقيمةً فلمّا ولي هارونُ أشرقَ نورُها
بيُمنِ أمين الله هارون ذي النّدى فهارونُ وإليها ويحيى وزيرُها[4]

(1) الثعالبي، خاص الخاص، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٢٠٨-٢٠٩).
(2) شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف في كل من مستظرف، شرح: مفيد محمد قميحة، ج١، ص (١٠٣).
(3) الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٤، ص (٦١٩).
(4) المصدر السابق نفسه.

رابعاً: التهنئة بالولايات:

عندما اتسعت رقعة الدولة، أصبحت هناك حاجة إلى التقسيمات الإدارية، وهنا ظهرت الولايات، وقام الخلفاء بوضع ولاة يشرفون على الأمصار والأقاليم، يديرون شؤونها، وكان للولاة مهام تُوكل إليهم، فهم ينظرون في تدبير الجيوش، وسياسة الرعية، وتقليد القضاة، وجباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمّال، وحماية الدين، والذب عن الحريم، وإقامة الحدود في حق الله، والإمامة في الجمع والجماعات، وغيرها من المهام[١]، والولاية من المناصب المهمة في الدولة، فقد وصفت بأنها "حلوة الرضاع، مُرّة الفِطام"[٢].

ومن تهاني الولاة ما أسند إليهم من المناصب العامة في الدولة، ما قاله البحتري في تهنئة يوسف بن محمد بن يوسف في ولايته[٣]:

وَلّتهنِكَ الآنَ الولايةُ إنَّها ... طَلَبَتْكَ من بلدٍ بعيدِ المنْزَعِ

لم تُعْطِها أملاً ولم تَشْغَلْ بها ... فِكْراً ولم تَسألْ لها عن مَوْضِعِ

ورأيتَ نَفْسَكَ فَوْقَها وهي التي ... فوقَ العليِّ من الرِّجالِ الأرْفَعِ

وَصَلَتْكَ حين هَجَرْتَها وتزيَّنتْ ... بَأغَرَّ وافي السَّاعدَيْنِ سَمَيْدَعِ[٤]

فالشاعر يُهنئ الولاية التي وليها، فقد جاءت الولاية إليه منقادة من بلد بعيد، ويُعلي الشاعر مكانة ممدوحه بقوله "مع أن الولاية عالية المقام، إلاّ أنه رأى نفسه أعلى منها مقامة"لذلك لم يشغل باله ولا فكره في الوصول إليها، وهذه صورة يُكثر الشعراء من استخدامها لبيان قدر الممدوح (المُهنَّا)، فنجد المتنبي في إحدى قصائده، يُهنئ أحدهم في انضمام إحدى المدن إلى ولايته، متسائلاً هل يُهنئ ممدوحه بولاية صور؟ أم يُهنئ صور به؟ فعلى الرغم من أن هذه الولاية عظيمة الشأن، إلاّ أنها تصغر بالإضافة إلى الممدوح، حتى أن هذه البلاد أصبحت تتحاسد على ولايته، لو كانت هذه البلاد أناساً لسارت إليه من الشرق والغرب، فيقول:

---

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، الطبعة الثالثة عشرة، ج/٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص (٢١٦-٢١٧).

(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، عاصم عيتاني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص (٤٦).

(3) البحتري، الديوان، ج/٢ ، ص (٧١٧).

(4) السَّمَيْدَعُ: السيد الكريم، الشجاع،المعجم الوسيط.

تُهَنَّـــا بِـــصُورِ أمْ تُهَنُّهـــا بِكَـــا وقَـــلّ الّـــذي صُـــورٌ وأنْـــتَ لَـــهُ لكَـــا

ومـــا صَـــغُرَ الأردُنُّ والـــساحلُ الّـــذي حُبيـــتَ بـــهِ إلاّ إلـــى جَنَـــبِ قَـــدْرِكَا

تَحَاسَـــدتِ البُلـــدانُ حتـــى لـــو أنّهـــا نُفُوسٌ لَـــسارَ الـــشّرقُ والغـــربُ نحوَكـــا[1]

ألح الشعراء على تصوير ممدوحيهم، وقد علا شأنهم، وعظم أمرهم، فهذا ابـن الرومـي يقدم تهنئة لعبيد الله بن عبد الله بولاية، حيث يرى أن الملك قليل عليه، حتـى لـو أنّـه اسـتلم مجموعة من الأقاليم، إلاّ انّها تبقى قليلة عليه، وهي فكرة جديدة يقدمها الـشعراء فـي تقـديمهم للتهاني بهذه المناسبات، فيقول:

قـــلَّ لـــك المُلـــك ولـــو أنّـــهُ مجموعـــة فيـــه الأقـــاليمُ

واللهُ يُبقيـــكَ لنـــا ســـالماً بُـــرْداكَ تبجيـــلٌ وتعظـــيمُ[2]

ويعبّر الشعراء عن مشاعرهم، ووصفهم إيّاها بما آلت إليه مكانة ممدوحيهم من الرفعـة، وبيان تقصير شعرهم أمام فضلهم ، فيقول إبراهيم بن العباس الصولي في تهنئة بولاية:

مـــا جُـــدّدتْ لـــكَ نُعمـــي وإن عَظُمـــتْ إلاّ يُـــصغِّرُها الفـــضلُ الّـــذي فِيكـــا

لا زلـــتَ مُـــسْتحدثاً نُعمـــى تُـــسَرُّ بهـــا علـــى الزمـــانِ ولا زلنـــا نُهنِّيكـــا[3]

ويزخر العصر العباسي فيما كتب عن وصف المشاعر، والتعبير عـن مكنونـات الـنفس شعراً كان أم نثراً في التهاني بالمناصب السياسية في الدولة، سواء كـان ذلـك لغايـة التقـرّب والتحبب، أو للمصلحة والعطايا، مثالها ما قيل في التهنئة بالولاية، حيث كتـب بعـض الكتـاب يقول: "بلغني خبر الولاية الّتي وليتها، فكنت شريكك في السرور، وعديلك في الارتياح، فـسألت الله أن يُعرِّفك يُمنها وبركتها، ويرزقك خيرها وعادتها، ويُحسن معونتك على صالح نيتـك فـي الإحسان إلى أهل عملك، والتألُّف لهم، واستعمال العدل فـيهم، ويرزقـك محبـتهم وطـاعتهم، ويجعلهم خير رعيّة"[4].

---

(1) المتنبي، الديوان، ج/١، ص (٢٤٢-٢٤٣).

(2) ابن الرومي، الديوان، شرح عبـد الأميـر علـي مهنّـا، الطبعـة الأولـى، ج/٦،مكتبـة دار الهـلال، بيروت،ص(٧٧).

(3) الصولي، الديوان، ص (٢١٦).

(4) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد/ ٣، ص (٧٢).

ومما ركّز الشعراء عليه في مدح الولاة حسن السياسة، والتصرف في الولاية، ومنها وصف البحتري إبراهيم بن المدبر، في حسن أفعاله في الولاية، حيث يشير الشاعر إلى ناحية مهمة في هذا المنصب، وهو الاستقامة في التصرّف بما تحت يده من نفوذ وأملاك، وجعل ممدوحه بعيداً عن كل عيب ونقص، كما أنه يتمتع بالقوة والعظمة في تصدّيه للمصائب العظيمة، ليصبح بالنسبة إلى الناس كمن يستعذب الماء، ويرقق النسائم صيفاً، فيقول:

ما تَصَرَّفْتَ في الولايةِ إلاَّ ... فُزْتَ مِنْ حَمْدِها بحَظٍّ جَسيمِ
لم تَزَلْ من عُوِيبها أبْيضَ الثَّوْ ... بِ ومن دائها صحيحَ الأديمِ
هذه البصرةُ استغاثتْ إلى ذبْـ ... ـبِكَ عنها وَسيْبِكَ المَقْسُومِ
قُمت فيها مقامَ مُسْتعذبِ الما ... ءِ مصيفاً ومُسْتَرقِّ النّسيمِ
ودفعتَ العظيمَ عنها ولا يَدْ ... فعُ كُرْهَ العظيمِ غيرُ العظيمِ[1]

يجعل الشعراء صفات الممدوح أهلاً للتهنئة التي يقدمونها في تهنئتهم بالولاية، ومنها عندما ولّي الرشيد جعفر بن يحيى خرسان، فجلس للناس يهنئونه، وأنشده الشعراء، ودخل في آخرهم أشجع السّلمي، فقال: أتأذن في إنشاد شعر قضيت به حقّ سؤددك وكمالك، وخفّفت به ثقل أياديك عندي؟ فقال: هاتِ يا ابا الوليد: فإنك أكثر شعرائنا برّاً بنا فأنشده:

إلى جعفر نَزَعَتْ رغبةٌ ... وأي فتى نحوه تَنْزعُ
بديهتُه مثل تدبيره ... متى رمته فهو مستجمعُ
إذا همَّ بالأمر لم يُثْنِه ... هجوع ولا شادقُ أفرعُ
يريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنعُ
وليس بأوسعهم في الغنى ... ولكن معروفه أوسعُ
يلوذ الملوك بآرائه ... إذا نالها الحدث الأفظعُ
فقل لخرسان تحيا فقد ... أتاها ابن يحيى الفتى الأروعُ[2]

فالشاعر ينزع بهذه التهنئة بالولاية إلى جعفر، الذي يمتاز بصفات وصنائع كبيرة، قد تجعله فوق الملوك، حتى أن الملوك أنفسهم يريدون أن ينالوا رضاه وغاياته، فهو صاحب

(1) البحتري، الديوان، ج/٢، ص (١١٤٣).
(2) أشجع السّلمي، الديوان ، ص (٢٢٧).

المعروف الّذي يفوق معروف الملوك، وإن كان أقلّهم غنى، كما يستطرد الشاعر بأوصاف ممدوحه، فهو صاحب الرأي السديد الّذي يلجأ إليه الملوك إذا ما عظمت الأمور، وتفاقمت الأحداث، لما يملكه من الحكمة والفطنة، فهو دائم الاستعداد للحلول متى يُطلب، مبيناً أن فتى بهذه الصفات لا بُدّ أن تحيا به ولاية خرسان، فهو الأروع لها.

ومما جاء في التهاني بالولاية، ما خُلع على أشخاص من أعمال ومهمات، لما يملكونه من كفاءة وقدرة في إدارة هذه الأعمال، ومنها ما قاله ابن الرومي في القاسم بن عبيد الله، وكان قد خلع عليه المعتضد بالله وضمّ إليه بعض أعماله، فقال:

لا زلتَ أبيضَ غُرةٍ وأيادِ ... تبدو لنا في سُؤدد وسوادِ

خِلَعٌ عليك جمالُها وجلالُها ... أيامُها للناسِ كالأعيادِ

قسماً لقد رضيْتك أعينُ معشر ... من وامقين وشانئين أعادي

متدرِّعاً خِلعاً أنستْ بِلُبْسِها ... أنْس المعَوَّد لُبْسَها المعتادِ

خَلَعَ الإلهُ عليك يوم لبستها ... هَدْيَ الشَّكور وبهجة المُزدادِ

وكساك من خِلَعَ القلوب محبة ... كمحبةِ الآباءِ للأولادِ[1]

يخلع الشاعر على ممدوحه عدداً من الصفات الّتي تتناسب والأعمال الّتي أُسندت إليه، فهو مؤيد بما تولّى من مهمات، صاحب سؤدد، يتمتع بتأييد من الورى، حتى أن المبغض نظر إليه بعين ملؤها الرضى، ويثني الشاعر على ممدوحه هذه المكانة، ويشير بذلك بكلمة (اللباس) الّتي أكثر ما تدل على ذلك الترابط والتلاصق بين الممدوح، وما أسند إليه من عمل.

ولعلّ ما يمكن الإشارة إليه في هذا الفصل، ما كان هناك من شواذ التهاني (كما سُمّيت في بعض المصادر)[2]، بهذه المناصب السياسية.

على أنّ هذا اللون من ألوان التهاني، لا يكاد يُنبي – ولو على نحو – بمعنى الفرحة والسرور في نفس صاحب المناسبة، ومع ذلك يسعى بعض أصدقائه في محاولة إقناعه أنّ ما

(1) ابن الرومي، الديوان،ج/٢ ص (١٨٠).

(2) انظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٨٤)، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص ٧٩.

طاله إنّما يدعو في حقيقة الأمر إلى التهنئة[1]، ومثال ذلك ما كان في التهنئة بالعزل عن عمل حيث يقول إبراهيم بن عيسى الكاتب مهنئاً إبراهيم بن المدبّر،ت(٢٧٩هـ) بالعزل عن عمل:

لتهن أبا إسحاق أسباب نعمة مُجدَّدةٍ بالعزل، والعزلُ أنبلُ
شهدتُ لقد مَنَّوا عليك وأحسنُوا لأنّك يوم العزل أعلى وأفضلُ[2]

ويقول آخر فيما يشبهه:

إن الأميرَ هو الّذي يُضحي أميراً عند عَزْلِهِ
إن زال سلطان الولا يةُ فهو في سلطان فضله[3]

في حين كتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن ولاية، فيقول:

فمن يكن بورودِ العزل مكتئباً فأنّني بورودِ العزل مسرورُ
بعد الولايةِ عَزلٌ يستبين به طَوْل الولاة، وبعد العزل تأميرُ[4]

يبدو أن العزل لا يقدح في قدر الممدوح، بل هو أنبل وأفضل، والفضل والنّبلُ لا يُنقل في تنقّل الأعمال، بل هو ثابت في حالتي الولاية والعزل، ولعلّه في العزل يكون أعلى، وقد يكون هذا من باب التلاطف والمجاملات.

(1) محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص (٢١٦).
(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٨٦).
(3) المصدر السابق نفسه، ص (١٨٦-١٨٧).
(4) يونس أحمد السّامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الأولى، ج/٣، مكتبة النهضة العربيّة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص (١٧٥).

الفصل الثاني

المنحى الديني في شعر التهاني

شكلت المناسبات الإسلامية مادة خصبة للشعراء منذ صدور الإسلام إلى يومنا هذا وتفاوت إحساسهم بها قوة وضعفا، عبادة وعادة، ومن أهم هذه المناسبات، رمضان، والحج، والعيدين.

- التهنئة بقدوم شهر رمضان

لم يكن شهر رمضان بكل ما يتضمنه من معانٍ دينية وروحية بالمناسبة التي يغفلها الشعر، ولذلك وجدنا الشعراء يحتفلون بهذا الشهر الكريم من خلال تقديم التهاني الشعرية التي تجمل القيم الدينية في الصيام، فهي فريضة ظاهرها الحرمان وباطنها الرحمة، وآثارها تعلم المكلفين الصبر، والخشوع، وتحضهم على الصدقة، وترك العادات غير المحببة، والتمسك بأهداب الدين طلباً للعفو والمغفرة، فكان لشهر رمضان حظ من الشعر بين ترحيب بمقدمه، ورصد لأحداثه، ومظاهر الاحتفاء به، وذلك باعتباره شهر الفوز كما يشير إلى ذلك علي بن جبلة في دخوله على حميد الطوسي[1] في أول يوم من رمضان يهنئه بدخول هذا الشهر، مبيناً مظاهر الاهتمام بشهر رمضان، من قراءة القرآن وهجر للندمان، وزيادة للفضائل وأعمال الخير، فيقول:

جعلَ اللهُ مدخلَ الصوم فوزاً ... لحميد ومتعةً في البقاءِ

فهو شهرُ الربيعِ للقرّاء ... وفراق النّدمان والصهباءِ

وكأني أرى النّدامى على الخسـ ... ـفِ يرجون صحبهم بالمساءِ

قد طوى بعضُهم زيارة بعض ... واستعاضوا مصاحفاً بالغناءِ[2]

ويستغل الشعراء هذه المناسبة الدينية للوصول إلى الخلفاء والأمراء، فها هو الشريف الرضي الذي أراد مدح الخليفة الطائع لله، طالباً الإذن بالوصول إلى حضرته، متسائلاً متى تتاح له فرصة الوقوف بين يدي الخليفة، صاحب العطف والإحسان، مسترسلاً في مدحه وبيان مكانته، فهو الأعلى والأفضل، مكثرا الشاعر من صيغ التفضيل، فهو أطول العظماء، والندي إذا جفّت الأرض، البعيد عن كل عيب وعار، ذو الجانب المنيع، والغلبة في كل معترك، وما ذاك كله الا طلباً لنواله، فيقول[3]:

متى أنا قائمٌ أعلى مَقَامٍ ... ولاقٍ نُورَ وجهكَ بالسّلامِ

---

(1) حميد بن عبد الحميد الأمير أبو غانم الطوسي، توفي يوم عيد الفطر، بفم الصلح، سنة (٢٢٠هـ)،الصفدي الوافي بالوفيات،محمد الحجيري،دار نشر شتايز بفيسبادن،ج/١٣،ص(١٩٧).

(2) علي بن جبلة، الديوان، جمع وتحقيق: زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٩٧١م، ص ٣٠.

(3) الشريف الرضي، الديوان، محمد مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، ج٢، ص ٣٥٣.

ومُنـــصرفٌ، وقـــد أثقلْـــتَ عِطفـــي مـــن النَّعْمَـــاءِ والمِـــنَنِ الجِـــسَامِ[1]

أيَعترُقُنـــي الطَّـــوَى والـــرّوضُ حـــالٍ ويَغلِبُنـــي الظّمَـــا والبحـــرُ طـــامٍ؟[2]

وأنـــتمْ أطـــولُ العُظمـــاءِ طَـــوْلاً وأنـــدَى فـــي المُحـــولِ مـــن الغَمَـــامِ[3]

وأبعـــدُ مَوْطِنـــاً مـــن كُـــلِّ عـــارٍ وأمنـــعُ جانبـــاً مـــن كـــلِّ ذامِ

وأجـــرى عنـــدَ مُختلـــفِ العَـــوالي وأفلـــجُ عنـــدَ مُعتَـــرَكِ الخِـــصامِ

ويسترسل الشاعر بمدح الخليفة الطائع لله، وتهنئته بقدوم الصيام، فيرى ممدوحه صـائماً عن الآثام على طول الزمان، كما يستغل الشاعر هذه المناسبة ليشيد بأصول ممدوحه التي ينتمي إليها، فالآباء مضوا وقد خلا قولهم من الفحش ،والأمهات عفيفات، فيقول[4]:

بآبـــاءٍ مَـــضَوْا، وهُـــمُ عَـــوَارٍ مـــن القـــولِ المُهجَّـــن والمَـــلامِ[5]

وأمّهـــاتٍ درجـــنَ علـــى اللّيـــالي وهُـــنّ أصَـــحُّ مـــن بَـــيْضِ النَّعَـــامِ

تهـــنّ قُـــدومَ صـــومِكَ يـــا إمامـــاً يـــصومُ علـــى الزمـــانِ مـــن الأثـــامِ

إذا مـــا المَـــرْءُ صـــامَ مـــن الـــدّنايا فكُـــلُّ شُـــهُورِهِ شـــهرُ الـــصّيامِ

وفي قدوم رمضان يُظهر الشعراء الغاية والرجاء في هذا الشهر، كما يصورها الصنوبري فـي تهنئة لأحدهم، بنيله مبتغاه، ووقاية الإله له في هذا الشهر، ليغدو بين الناس كحال شهر رمضان بين الأشهر، بل مثل ليلة القدر في شهر رمضان من الفضل والمكانة العالية، فيقول:

نلـــتَ فـــي ذا الـــصِّيام مـــا تَرتجيـــه ووقـــاكَ الإلـــهُ مـــا تتَّقيـــهِ

أنـــت فـــي النـــاسِ مِثـــلُ ذا الـــشَّهر في الأشُّهرِ بـــل مثـــلُ ليلـــةِ القـــدرِ فيـــهِ[6]

وفي موقع آخر، يهنئ الصنوبري أبا الحسين بن مقاتل بسعادة الصوم والإفطار، وبتقـواه في هذا الصيام، ليعمّر مقبول الصيام، مجتنب الآثام، وافياً الشهر حقه من الصيام والقيام، فيقول:

---

(1) المنن: مفردها منة، مادة (منّ).

(2) الطوى، الجوع، مادة (طوى)، حالٍ: أورق وأثمر، مادة (حلى). الطام، الماء الكثير المرتفع، مادة (طما).

(3) المحول: مفردها (المحل)، المجدب.

(4) الشريف الرضي، الديوان،ج/٢، ص ٣٥٤.

(5) المهجن: القبيح، مادة (هجن).

(6) الصنوبري، الديوان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صـادر، بيـروت، لبنـان، ١٩٩٨م، ص ٤٦٤.

بالـــــسَّعْدِ صُـــــمتَ وبالـــــسعادةِ تُفطـــــرُ وعلـــى التُقَـــى تَطـــوي الـــصّيامَ وتنْـــشُرُ

عُمِّـــرْتَ مقبـــولَ الـــصّيام مُجنَّـــب الـــــ آثـــــام مـــــا دامَ الـــــصّيامُ يُعَمَّـــــرُ

وقيْـــتَ هـــذا الـــشهرَ حـــقّ صـــيامِهِ وقيامِـــهِ فـــي الأمـــن ممـــا تَحْـــذَرُ[1]

فما ياتي شهر رمضان حتى يتنسم الشعراء عبيره، ويتفجـر الـشعر ابتهاجـاً بقدومـه، ويتفننون في وصف هلال رمضان الذي يعد إمارة خير، وبشارة يمن وبركة، معبرين عن ذلـك بأجمل العبارات شعرا ونثرا، فهذا بديع الزمان الهمذاني يقدم تهنئة بإقبال رمضان : (سـاق الله سعادة إهلاله، وعرفك بركة كماله، أسهم الله لك في فضله، ووفقك لفرضه ونقله، جعـل الله مـا أظلك من هذا الشهر مقروناً بأفضل القبول، مؤذناً بدرك البغية، ونجـح المـأمول، ووفقـك الله لتحصيل أجر المتهجدين والمجتهدين)[2].

ومن الاحوال التي تكررت في الشعر اقتران التهاني الرمضانية بمدائح الخلفاء والامـراء، ودعوة الشعراء الى الاهتمام بمظاهر هذا الشهر من زيادة الفضائل وأعمال الخير، وبيان قيمـة هذا الشهر الذي يتبادل الناس فيه التهاني بدرك المأمول، مظهرين ما فيه من الخيـر ، داعـين للمهنأ بنيل أجره، وتعظيم ثوابه، وقبول طاعته.

التهنئة بأداء فريضة الحج

الحج فريضة لتطهير النفس من الذنوب والآثام، وتوحيد الأمة الإسلامية حيث تتوحد فـي الحج مشاعر المسلمين، وأهدافهم وغاياتهم، كما أنه ركن ديني مهم، تتقارب فيه الاهواء وتتحـد الافئدة .

وللحج مظاهر في التكافل والتواصل الاجتماعي في صلة الأقرباء والخلان، حيث يـودع الحاج عند سفره، ويهنأ عند قدومه، فيعزز الحج التماسك والوحدة الاجتماعية في هذه اللقـاءات التي تلتقي فيها القلوب، وتتعزز فيها الصلات، فتكون الفرحة غامرة، والسعادة كبيـرة، حينمـا ينهي الحاج مناسك الحج.

---

(1) الصنوبري، الديوان ، ص ٣١.

(2) الثعالبي، لباب الآداب، تحقيق أحمد حسن بسج، الطبعة الأولـى، دار الكتـب العلميّـة، بيـروت، لبنـان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٥٥، وانظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، الطبعة الثلاثون، ج١، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص ١٢٠-١٢١.

انتهز الشعراء موسم الحج فرصة لتقديم التهاني للممدوحين، لما لها من أهمية دينية لـــدى المسلمين، ولما لقدوم الحجاج من أثر مبهج في النفوس، وأكثر ما كانت تتجلى هذه الصور حينما يكون الحاج خليفة، أو أميراً، فتغدو معالم الفرح والغبطة واضحة كل الوضوح، كمـــا يـــصورها محمد بن وهيب الحميري[١] في تهنئة المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي بقدومه من الحـــج، مبيناً أثر غيابه وبعده عنهم، وإشفاقه عليه من البعد، وذلك لما يتمتع به ممدوحه من المحاسن في الجود والكرم، حيث إ ن الكرم يحل حيثما ينزل، ويعلي الشاعر من شأن الممدوح حتى يرى بأن الأماكن الدينية المقدسة: مثل الحطيم، وزمزم، ومنى، تفخر بالذي نزل بها، ليعيد إلى أكناف مكة تلك البهجة الخزاعية الجلية والكريمة، التي حنّ إليها الركن في مجيئه إليها حاجاً، فيقول:

ومـــا زلـــتُ أســـترعى لـــك اللهَ غائبـــاً ... وأظهـــرُ إشـــفاقاً عليـــك وأكـــتمُ

وأعلـــمُ أنَّ الجـــودَ مـــا غبـــتَ غائـــبٌ ... وأنَّ النَّـــدى فـــي حيـــثُ كنـــتَ مُخـــيِّمُ

إلـــى أن زَجَـــرتُ الطيـــرَ سَـــعْداً سَـــوانحاً ... وحُـــمَّ لقـــاءٌ بالـــسُّعودِ ومَقْـــدَمُ

ســـيفخرُ مـــا ضَـــمَّ الحَطـــيمُ وزَمـــزمٌ ... بمُطّلـــبٍ لـــو أنّـــه يـــتكلّمُ

أعـــدتَ إلـــى أكنـــافِ مكـــة بهجـــة ... خُزاعِيَّـــة كانـــتْ تُجـــلُّ وتُعظـــمُ

وحَـــنَّ إليـــكَ الـــرُّكنُ حتَّـــى كأنّـــهُ ... وقـــد جئتَـــهُ خِـــلٌّ عليـــك مُـــسلِّمُ[٢]

وكان لأهل العصر العباسي تعبيرات في التهنئة بالحج، وتفخيم أمر الحرم، وتعظيم أمـــر المناسك والشعائر، ومنها ما قيل: (قصد البيت العتيق، والمطاف الكريم، والملتزم النية، والمستلم النزيه، وقف بالمعرف العظيم، وورد زمزم والحطيم، حرم الله الذي أوسعه للناس كرامة، وجعله لهم مثابة، وللخليل خطة، وللذبح حلة، ولمحمد صلى الله عليه وسلم قبلة، ولأمته كعبة، ...)[٣].

ومن الخلفاء العباسيين الذين ألفوا الحج هارون الرشيد، حيث إن الحكاية معروفة عنه بأنه كان يحج عاما، ويغزو عاما[٤]، فهذا أشجع السلمي يشير في تهنئةٍ له بقدومه من الحج، حيث قدم

---

(1) محمد بن وهيب الحميري: شاعر من أهل بغداد، من شعراء الدولة العباسية، أصله مـــن البـــصرة، كـــان يستمنح الناس بشعره، ويتكسب بالمديح. الأصفهاني،الأغاني،مجلد/١٩، ص (٣) .

(2) يونس السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الثانية، ج١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١١هـــ/١٩٩٠م، ص(٩٣) .

(3) الحصري، زهر الآداب، زكي مبارك، الطبعة الأولى، ج٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص ١٠٩٧.

(4) انظر، الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٥، ص١٦ .

هارون الرشيد وقد مُطِّر الناس، فاتخذ الشاعر منها مناسبة جميلة لهذا القدوم الذي جلب الخير والأمطار الغزيرة التي تبسمت لها الأرض بمقدم هارون الذي يغض الطرف حياءً وخوفاً من الله عز وجل، في حين تتكسر العيون أمامه لهيبته ووقاره، فقد ألف الحج والجهاد معاً، ولعل الفعل (ألف) يشير أكثر ما يشير إلى هذه الرابطة والعلاقة القوية التي تربط هارون الرشيد بهاتين الخصلتين، وذلك كله طلباً لرضى الله سبحانه وتعالى، الذي يسعى إلى لقائه، فيقول[1]:

إن يُمن الإمام لمَّا أتانا ... حلبَ الغيثَ من متون الغمام
فابتسام النَّبات في أثر الغيـ ... ـث بنُوَّاره كسُرج الظَّلام
ملكٌ من مخافةِ اللهِ مُغْضٍ ... وهو مُغْضٍ له من الإعظام
ألِفَ الحجَّ والجهادَ فما ينْـ ... ـفكُّ من سَفْرتين في كُلِّ عام
سفرُ الجهادِ نحو عدُوّ ... والمطايا لسفرةِ الإحرام
طلب الله فهو يسعى إليه ... بالمطايا والجياد السَّوَام
فيدان يدٌ بمكَّة تدعو ... هُ وأخرى في دعوةِ الإسلام[2]

ومن العادات التي كانت سائدة عند قدوم الحجاج، إحضار الهدايا التي كانت تحمل دلالات اجتماعية ومعنوية في نفس المهدى إليه، ومن أشهر الهدايا التي يحملها الحاج معه، المساويك، والنعال، والعطور، وغيرها، فحينما يأتي المهنّئ لزيارة الحاج يُقدّم له هدية، تعبيراً عن الشكر بهذه الزيارة التي يقدم فيها التهنئة بحجّته، وعودته سالماً، ومنها ما كتبه الحمدوني إلى جارية اسمها برهان قد حجّ مواليها طالباً المساويك هدية منها، فيقول:

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا ... وقد أتتك الهدايا من مواليكِ
فأطرفيني مما أطرفوك به ... ولا تكن طرفتي غير المساويكِ
ولست أقبل إلا ما جلوتِ به ... ثنيتك وما رددتُ في فيكِ[3]

(1) أشجع السلمي، الديوان، خليل بنيان حسون، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٦١.

(2) السوّام: الخيل وعليها فرسانها، مادة (سوم)،المعجم الوسيط.

(3) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، ج٥، ص ٣٦٠.

ويمكن أن تقدم الهدايا لأناس يراد منهم تحقيق غايات للمقدمين ، فقد ذكر أن أبا العتاهية كان يحج كل سنة، فإذا قدم أهدى للمأمون برداً، ومطرفاً، ونعلاً، ومساويك أراك، وقد جرت العادة أن يبعث إليه المأمون عشرين ألف درهم[1]، فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم، فلم يثبه ولا بعث إليه بالمكافأة، فكتب إليه أبو العتاهية أبياتاً يذكره فيها بهذه المكافأة، فيقول:

خبِّروُني أنَّ، مِنْ ضَرْبِ السَّنَهْ، جُدُداً بيضاً، وحُمراً حَسَنَهْ
لم أكنْ أعهَدُها، فيما مَضَى، مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سَنهْ[2]

فكانت لهذه الأبيات وقعها عند المأمون، فأمر بحمل عشرين ألفاً، وقال: أغفلنا حتى ذكرنا، فقد اتخذ الشاعر الهدية كوسيلة للتكسب، والحصول على العطايا، حيث عدّها سنة من الخليفة، فكلما أهدى له شيئاً أهدى له بأحسن منه، ولمّا خالف السنة، ولم يثبه، بعث إليه هذه ألابيات يذكّره.

ولم تقف الهدايا عند الشكل المادي وحده ، فهذا أبو نواس يجعل من تبادل أطراف الحديث هدية يقدمها، وذلك رفعاً لقيمة الكلام المقدم، فيقول:

أهْدي لَه طَرَفَ الحديثِ لأستعيدَ بها كلامَهْ
لا غايتي منه هوى تُلْقى مَغَبَّتَه ندامَهْ
إن المحبَّ تبينُ نظ رته إذا نظر السَّلامهْ[3]

حرص الناس على تقديم التهنئة للحجاج وحاولوا المواظبة على أدائها ما لم يمنع مانع، ومما يدل على ذلك ما قدّمه رجل من الكتاب في تهنئة لأحدهم بالحج، معتذراً منه عن عدم زيارته، وتقديم كتابه ليسد مسدّه، فيقول: "لولا أن عوائق أشغال يوجب العذر بها تفضلك ويبسطه احتمالك، لكنت مكان كتابي هذا مهنئاً لك بالأوبة، ومجدداً بك عهداً، ومحيياً نفسي بالنظر إليك، وأنا أسأل الله أن يشكر سعيك، ويتقبل حجّك..."[4].

---

(1) عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٩٠.

(2) أبو العتاهية، الديوان، ، ص (٤٠٥).

(3) أبو نواس، الديوان، أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٥٠٥.

(4) ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثالث ، ص ٧٢، ٧٣.

الحج من المناسبات الدينية التي يُحْتفل بها في العصر العباسي، وتقدم التهنئة للحاج بما أنعم الله عليه في زيارة بيته الحرام، وتوريده حرمه سالماً، وإصداره عنه غانماً، ويتخذ القدوم مظاهر الفرح والسعادة كتلك العبارات والألفاظ الدالة على الغبطة والاستبشار بمقدمه، كما تأتي التهاني في كثير من الأحيان مقرونة بالدعاء، وشيء من الثناء، ومقرونة بهدية لما تحدثه في النفوس من المحبة، والمودة، والشعور بالسعادة، وإثراء روح التواصل بين أرجاء المجتمع.

- التهنئة بالأعياد الإسلامية

الأعياد في الإسلام استثمار للمعاني الإنسانية وتجسيد للقيم الروحية، فقد شرعت الأعياد في الإسلام لحكم سامية، ولمقاصد عالية، فالعيد فرحة لشكر الإله على تمام نعمته، وفضله لأداء فريضة الصيام، أو الحج، وفرصة للفرح، ولتقوية الروابط الاجتماعية، ومناسبة للترويح عن النفس من هموم الحياة، ونشر للمودة والرحمة بين المسلمين.

وكانت المدن الإسلامية في عهد العباسيين تتخذ زينتها عند كل عيد، فنجد الأنوار تُضئ لياليها ، و أصوات المسلمين تتجاوب بالتكبير والتهليل، وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات، وتسطع في جوانبها أنوار القناديل، وتتلألأ الأنوار الخاطفة للأبصار من قصور الخلفاء، وتعمّ خيرات الخلفاء إلى الناس، من تفرقة للكسوة، وصدقة الفطرة، وعمل السماط، كل ذلك احتفاء بالعيد[1].

قدم الشعراء العباسيون من خلال هذين العيدين القادمين بالسعد، أجمل التهاني لممدوحيهم، متمنين السعادة والصحة لهم، وعودتهما عليهم بأحسن الأحوال وأتمها، مقدمين صور مشرقة لهذه التهاني، كما نجد عند أشجع السلمي في تهنئته لأحمد بن يزيد بن أسيد السلمي بالعيد، ليقرن توالي العيدين بالسعد عليه، والصحة والنعمة، كما يشيد الشاعر بالممدوح ، من خلال إشارته الى ما يقوم به من خدمة للعباسين، ليبقوا أركان عز لهم فيقول :

عيدان لا زالا يعودان عليكَ بالسعدِ يدوران
في صحةٍ منك وفي نعمةٍ تدورُ ما دارَ الجديدان

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، الطبعة الثالثة عشرة، ج٣، ص ٤٦١.

لـــــو خُيّـــــرتْ قـــــيسٌ بنـــــي آدمٍ كنـــت الرضـــا مـــن ألـــفِ إنـــسان

يـــا ابـــن يزيـــد بـــن أســـيدٍ بكـــم تعاظمـــت قـــيسُ بـــن عـــيلان

أنـــتم لملـــك العـــز مـــن هاشـــمٍ أركـــانُ عـــزٍ أيُّ أركـــان[1]

أولاً: التهنئة بعيد الفطر:

كما ألهم شهر رمضان الكريم نفوس الشعراء ووجدانهم بما يثير فيهم من سمو روحي وحب للخير والبر والتقوى، كذلك نجد أن عيد الفطر أنتج أدباً غزيراً وشعراً جديداً في أغراض لم تكن موجودة في الشعر العربي القديم، وأعني بذلك شعر التهاني والتبريكات الذي كان الشعراء يقدمونه إلى الخلفاء، والأصدقاء، والأهل والأحباب، هذا الشعر الذي يقترن بأفكار وقيم إسلامية وعادات اجتماعية، وكان عيد الفطر في المجتمع العباسي يرتدي أجمل زينته من خلال مظاهر الاحتفال به، لنجد الناس صبيحة العيد بملابسهم الجديدة، والخلفاء بأبهى زينتهم وبصحبتهم كبار رجال الدولة، فيقف العامة على جانبي الطريق لتحية الخليفة، وهو في طريقه إلى المسجد، وهم ينادون السلام على أمير المؤمنين، ونور الإسلام[2]. لتثري هذه المظاهر الاحتفالية شعور المسلمين بأهمية العيد، وإبراز قيمته الدينية والروحية لديهم.

يمثل العيد مبعث سعادة وسرور، فيجد فيه الشعراء مناسبة لتقديم التهاني، فهذا ابن الرومي يقدم تهنئة للمعتضد بقدوم هذا الصاحب المودود ، فيقابل الشاعر بين أعماله في رمضان من الصوم، والتعبّد، والنسك، إلى الفطر من الجود والكرم، مثنياً عليه بالدعاء بطول العمر له، وقصور عمر مبغضه، فيقول[3].

قـــدِمَ الفطـــرُ صـــاحباً مـــودُوداً ومـــضى الـــصومُ صـــاحباً محمـــوداً

ذهـــبَ الـــصومُ وهـــو يحكيـــك نُـــسْكاً وأتـــى الفطـــرُ وهـــو يحكيـــك جـــوداً

وشـــبيهاك لا يخُونـــاك العهْـــدَ لعمـــري بـــل يرعيـــان العهـــودا

وســـتبقى عليهمـــا ويعُـــودا ن كمـــا أنـــت مُـــشْتَهٍ أن يعـــودا

(1) أشجع السلمي، الديوان، ص ٢٦٧.

(2) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٤، ص ٦٠٣.

(3) ابن الرومي، الديوان ، ج٢، ص ١٨٢.

جعـــلَ اللهُ عمـــرَ شـــانئك المقْـــ ـــصورَ حتمـــاً، وعُمـــرَك الممـــدودا[1]

كما يكثر الشعراء في هذه المناسبة من الحديث عن العودة إلى ممارسة الأشياء التي امتنع عنها الشخص أثناء فترة الصيام، فهذا السري الرفاء يدعو أحدهم في تهنئة بعيد الفطر، إلى العودة للهوى، وشرب الراح، ويرى بأن الممدوح والعيد هما أجمل ما في هذا الزمان، لذلك فإن مدحه إيّاه يأتي دون تعب، وسهر، فيقول[2].

قـد تقـضّى الـصومُ محمـوداً فَعُـدْ لهـوى يُحْمَـدُ أو راح تَـسُرّ
أنـت والعيـدُ الـذي عاودتْـه غُرَّتـا هـذا الزمـانِ المُعتَكِـر[3]
لـدَّ فيـك المـدحُ حتـى خِلْتُـهُ سَـمَراً لـم أشْـقَ فيـه بِـسَهر

يظهر الشعراء العيد أحيانا بأنه فرصة للهو من خلال دعوة ممدوحيهم إلى الاستمتاع بأعيادهم دعوة دنيوية غير دينية تنم عن ضعف الوازع الديني فهذا ابن الرومي يهنئ عبيد الله ابن عبد الله، داعياً ممدوحه إلى اللهو والاستمتاع بأيامه التي تزينت بالورود، وذلك بشرب الراح، وسماع الغناء، والعزف، وتمتيع النظر بما يرى من جمال، فيقول[4]:

مـا جُمِـعَ الفطـرُ إلـى جُمْعـةٍ إلا لِمُلـك ولتخليـدِ
حَبَّـكَ بـالنَّرْجِسِ أيامُـه والـراح، فاشْـرب غيـرَ تـصريدِ[5]
علـى سـماعِ مُطـربٍ معجـبٍ ألـدَّ مـن نُجـح المواعيـدِ[6]
لا مـن خـدودٍ سـوَّدتْها اللحـى بـل مـن خـدودٍ ذاتِ توريـدِ
تجمـعْ لعـينٍ وفـمٍ طـاهرٍ مـاءَيْ خـدودٍ وعناقيـدِ
دونـك يـا سـيِّدَ أكفائـه عـزف الحـسان الخـرَّد الغيـدِ[7]

---

(1) الشانئ: المبغض، مادة (شنأ)،المعجم الوسيط.
(2) السري الرفاء، الديوان، كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٢٠٠-٢٠١ .
(3) غرة: أجمله وأكرمه، مادة (غر).
(4) ابن الرومي، الديوان، ج٢، ص ١٨١-١٨٢.
(5) تصريد: تناوله جرعات متفرقة، مادة (صر د).
(6) نُجح المواعيد: انقضائها: مادة (نجح).
(7) غيد، تمايل، وتثنى في لين ونعومه.

غدت التهاني مكاناً لإظهار صفات الممدوحين ومحاسنهم، وخاصة إن كانوا من الخلفاء، وفرصة لإظهار أعمالهم، كما نجد عند البحتري في تهنئته للمتوكل بعيد الفطر أثناء مسيره إلى دمشق، مستغلا الشاعر هذا المسير في تقديم تهنئة لأهل الشام بمقدمه إليهم، موضحاً أفضاله في شهر رمضان ومحاسنه، فقد عصمه الله بتقواه وورعه، فلا قبح ولا لغو في كلامه، مقدّماً سعياً صالحاً يبتغي ذخره، حتى غدا كأنه مضى عام من عيد الفطر إلى عيد الفطر محفوفاً بالبركة والإيمان، فيقول:

هَنيئاً لأهلِ الشام أنّك سائرٌ ... إليهمْ مَسيرَ القَطْرِ يتْبعُهُ القَطْرُ
مضى الشَّهرُ محموداً ولو كان مُخْبَراً ... لأثنى بما أوْلَيْتَ أيّامَهُ الشَّهرُ
عُصِمْتَ بتقوى اللهِ والوَرَعِ الذي ... لديك فلا لغْوٌ أتيت ولا هُجْرُ
وقدَّمْتَ سعياً صالحاً لك ذكرهُ ... وكلُّ الذي قدَّمْتَ من صالح ذُخْرُ
وحالَ عليكَ الحَوْلُ بالفطرِ مُقْبلاً ... فباليُمنِ والإيمانِ قابَلَكَ الفِطرُ[1]

إن الشعر الذي قيل في التهاني بعيد الفطر كثير ، لا يخلو من المبالغة في بعض الأحيان، كما نجد عند المتنبي يهنئ سيف الدولة بالصوم، والأعياد، والعصر لتصبح جميعها مشرقة بالممدوح، ويعم نوره كل شيء حتى الشمس والقمر، ويعلي من شأنه ممدوحه في جعل الدهر بوجوده روضة، وشمائله زهرها، ليزداد كرمه مع الأيام، فيقول[2]:

الصومُ والفِطْرُ والأعيادُ والعُصُرُ ... مُنيرةٌ بكَ حتى الشّمسُ والقمرُ[3]
تُري الأهلّةُ وجْهاً عَمَّ نَائِلُهُ ... فما يُخصُّ به من دُونِها البشرُ
ما الدّهرُ عندكَ إلا روْضَةٌ أُنُفٌ ... يا مَنْ شمائِلُهُ في دهرِهِ زَهَرُ
ما ينتهي لك في أيّامه كَرَمٌ ... فلا انتهى لك في أعوامهِ عُمُرُ

تلبس صور التهنئة ثوباً زاهياً، ملؤه البشرى والسرور، فهذا الثعالبي يقدم تهنئة بعيد الفطر، فيجعل هلال العيد أخاً لممدوحه يحاكي نوره، ويشاطره السعود، ويقدم البشرى بهذا العيد

(1) البحتري، الديوان، ج١، ص ٤٩٤.
(2) المتنبي، الديوان ، ج٢، ص ٧٥٥-٧٥٦.
(3) العصر: الدهر.

المزهر، فهي تهنئة لصاحب المكانة العالية، وصاحب الفضل، فقد قدم العيد بأسعد طالع، وأكمل إقبال، فيقول:

أخوك هلالُ العيدِ عادت سعودُهُ ... يحاكيك منه نوره وصعوده
فافطر على دهر بعينك ناظر ... وابشر بعيد مورق لك عوده
وعيّدت يا من للمعالي قيامه ... وللفضل والإفضال فينا قعوده
بأيمن إهلال وأسعد طالع ... وأكمل إقبال يليه خلوده[1]

تأخذ التهاني بهذه المناسبة شيئاً من المعاني التقليدية، من تمني السعادة والسرور، ودوام البهجة والسؤدد، والتمتع بإقبال الأيام وإدبارها، مع بقاء العافية، ودوام السلامة، فهي معاني ركزت عليها كثير من قصائد التهنئة بهذه المناسبات، فها هو أبو إسحاق الصابي يقدم صوراً ملؤها السعادة بتهنئة للعيد، ليصبح الزمان بأنس ممدوحة ربيعاً مشرقاً ليس في أيام الأعياد وحدها، وإنما في كل الأيام، التي أصبحت أعياداً بوجوده، حتى أوشك العيد الحقيقي أن يضيع بينها فيقول:[2]

يا سيداً أضحى الزما ... ن بأنسهِ منه ربيعا
أيامُ دَهْرِكَ لم تزلْ ... للناسِ أعياداً جميعا
حتى لأوْشك بينها ... عيدُ الحقيقةِ أن يضيعا

وفي موقع آخر، يهنئ أبو إسحاق الصابي الوزير المهلبي، بما أنعم عليه بعيد الفطر، وبما وقي من مصاب الدهر، ليمضي الصوم وقد وقاه حق عبادته وطاعته التي سيثاب بأجر عليها، من قراءة القرآن، وصلاة، وتهجد، فيصبح الفطر رسم للسرور، ويصبح الممدوح خير من يحيى هذه السنة ، فيقول:

أسِّيدنا هُنِّئْتَ نعماك بالفطر ... ووُقِّيتَ ما تخشاه من ثُوبِ الدهر
مضى الصومُ قد وقيْتَه حقّ نسكه ... ووقاك مكتوب المثوبة والأجر
هجرت هجودَ الليلِ فيه تهجداً ... وصبراً على طول القراءةِ للفجر

(1) الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، ص(٢٧٢).
(2) النويري، نهاية الأرب في فنوب الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج٤-٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص(١٣٣).

وللفطـــــر رســـــمٌ للـــــسرور وســـــنَّةٌ ومثلـــك مـــن أحيـــا لنـــا ســـنّة الفطـــر[1]

كما يظهر في هذه التهاني التي تقدم في عيد الفطر، وصف لمحاســن شــهر رمــضان، ومثابرة ممدوحيهم في نيل أجره، ومنها قول الشريف المرتضى يهنئ جلال الدولة بالفطر، بعــد انقضاء شهر الصيام تاركا كل ما يعيبه، من قبح، أو آثام، أو حرام، ليأتي العيد مبشراً لــه بمــا قدّمه من أمورٍ عظيمة، لينعم بالقرار، والسرور، والثبات فيقول:

قـــــد مـــــضى شـــــهرُ الـــــصّيام عاريـــــــاً مـــــــن كُـــــــلِّ ذام
صُـــــمْتَ عـــــن كُـــــلِّ قبـــــيح وأثـــــــــــــامٍ وحـــــــــــــرام
لا كقـــــــومٍ عـــــــن شـــــــرابٍ صـــــــوُمهمْ أو عـــــــن طعـــــــام
وأتـــــــى العيـــــــدُ بـــــــشيراً بالتحّيـــــــــــات الجـــــــــسام
وئُـــــــزوح عـــــــن حـــــــذارٍ وبلـــــــــــــوغ لمـــــــــــرام
وقـــــــــــرارٍ وســـــــــــرورٍ وثبـــــــــــــــــاتٍ ودوام[2]

يجد الشعراء العيد مناسبة ينتهزونها للتقرب إلى الخلفاء والأمراء، يهنئونهم بمقدمه إلــيهم، كما نجد عند الشاعر أشجع السلمي مهنئاً الرشيد بالعيد، وداعياً إلى استقباله بعمر جديد، ليــصعد درجات العلا ونجمه مقروناً بأجمل السعود، ومتجدداً، وأيامه مليئة بالغبطة والسرور مــع قــدوم كل عيد، فيقول:

اســـــتقبلْ العيـــــدَ بعمـــــرٍ جديـــــدٍ مـــــدتْ لـــــك الأيـــــامُ حبـــــلَ الخلـــــودِ
مـــــصعّداً فـــــي درجـــــاتِ العُـــــلا نجُمـــــك مقـــــرونٌ بـــــسعدِ الـــــسعودِ
واطـــــو رداءَ الـــــشمس مـــــا اطلعـــــتْ نـــــوراً جديـــــداً كـــــلَّ يـــــومٍ جديـــــدِ
تمـــــضي لـــــكَ الأيـــــامُ ذا غبطـــــةٍ إذا أتـــــى عيـــــدٌ طـــــوى عمـــــرَ عيـــــدِ[3]

(1) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمــد قميحــة، ج/٢، دار الكتــب العلميّــة، بيروت/لبنان، ص(٣٢٨).

(2) الشريف المرتضى، الديوان، تحقيق: رشيد الصّفار، الطبعــة الثانيــة، القــسم الثــاني، بيــروت/ لبنــان، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م، ص(٤٦٠).

(3) أشجع السّلمي، الديوان، ص(٢٠٣).

وهناك من الشعراء من يرى بأن فرحة العيد في اللهو والمتعة بعد انقضاء شهر الصيام، واصفين مظاهر هذه المتعة وصفا ينم عن ضعف الوازع الديني عند الشاعر والممدوح، فيغدو المدح ذما، فها هو الشاعر كشاجم يهنئ أحمد بن طارق بالعيد*، بعد صيامه على الحق وإفطاره على الفطرة، وبما أحرزه من أجر، ليهدي العيد إلى قلبه كل ما يسره، منتقلا إلى وصف مظاهر اللهو والمتعة بعد انقضاء الصيام، ووصفه للقيان والخمر، وتشوقه إليهما، فالقينة غدت كالبدر، يتشوقون لسماعها غداة العيد، والخمرة أصبحت بين الحمرة والصفرة متعطشين إليها بعد امتناعهم عنها شهراً كاملاً[1]، فيقول:

لقد صُمْتَ على الحقِّ ... وأفْطرتَ على الفِطْرهْ
وأحْرزتَ بعون اللّ ... ـهِ أجْرَ الحِّجِّ والعُمْرَهْ
فأهْدى العِيْدُ بالسَّعْدِ ... إلى قلبِكَ ما سَرَّهْ
فأمَّا بعدُ يا غيثُ ... نَدى مَطْرَتُهُ الحَبْرَهْ[2]
فعِنْدِي قينةٌ كالبد ... ر قد جَدَّرْتُها[3] بَدْرَهْ
وقُلنَا في غَداةِ العيـ ... ـدِ كُوني عِنْدَنَا بُكْرهْ
ولا يَدْفَعُ ما خَامَ ... رَ من هَمٍّ سِوى الخَمْرَهْ
مُدَامٌ نُورُهَا نُورا ... ن بالحُمْرةِ والصُّفْرَهْ
وهل تُرْوِى امْرَءاً أعْطِـ ... ـشَ شهراً كامِلاً سَكْرَهْ

وهذا الشاعر علي بن جبلة يرى في تهنئة لحميد الطوسي بعد انقضاء شهر الصيام، بأنها فرصة لشرب الراح، وترك قول العاذلين، وذلك للتمتع بالعيش قبل أن تفجعه المنية، ولتذهب شربته ما به من طوارق الأحزان، بعد أن أتاه شوال وذهب رمضان، فيرى الشاعر بأن سماع القيان والعيدان هما العون على مصائب الدهر، فيقول:

---

* أحمد بن طارق :لم أعثر على ترجمة له.

(1) كشاجم، الديوان، تحقيق: عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص(١٧٤-١٧٥).

(2) الحبره: النعمة والسرور، مادة(حَبَرَ) ،المعجم الوسيط.

(3) جدّر: ظهر وبرز، مادة(جَدَرَ) ،المعجم الوسيط.

عللانـــي بـــصفو مـــا فـــي الـــدنان واتركـــا مـــا يقولـــه العـــاذلان
واســـبقا فـــاجع المنيـــةِ بالعيـــ ـــش فكـــل علـــى الجديـــدين فـــاني
عللانـــي بـــشربةٍ تـــذهب الهـــ ـــمَّ وتنفـــي طـــوارق الأحـــزان
وانفثـــا فـــي مـــسامع ســـدها الـــصو مُ رقـــى الموصـــلي أو دهمـــان
قـــد أتانـــا شـــوال فاقتبـــل العيـــ شُ وأعـــدى قـــسراً علـــى رمـــضان
نعـــم عـــون الفتـــى علـــى نـــوب الدهـــ ـــر ســـماع القيـــان والعيـــدان[1]

كما يهنئ ابن المعتز أحد أصدقائه، بلغة رقيقة، بعيدة عن التكلف، حتى لتكاد تشبه لغة التخاطب العادية[2]، ليهنئه بالفطر وما فيه من متاع من الخمر والحانات، والكروم، وسماع صوت النّاي، والطرب، والتقبيل، والمأكولات كالحلوى التي ليس له عنها صبر، فيقول[3]:

هنيئـــاً لكـــم الفطـــرُ وحَـــتُّ الكـــأس والـــسِّكْرِ
وظِـــلُّ الكَـــرْمِ والجَنَّـــا تُ والأشـــجارُ والزُّهْـــرُ
وضـــجَّاتٌ مـــن القَـــصْفِ ونفْـــخُ النَّـــاي والنَّقْـــرُ
وتجمـــيشٌ وتقبيـــلٌ لمـــن جَاذَبَـــهُ الخِـــصْرُ[4]
وأصـــنافٌ مـــن الحلـــوا ء مـــا عَـــنْ مثلهـــا صَـــبْرُ

نظر بعض الأدباء الى التهاني بالاعياد بشئ من العادة، يهتمون بأدائها ، ولا يمنعهم شيء عن أدائها إلا إذا كان عسيراً، لما لها من مكانة قصوى في النفوس، ففي إحدى الرسائل التي كتبها ابن المعتز إلى صديقه الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب تدور حول الاعتذار إلى الوزير عن العلة التي أخّرت ابن المعتز عن الحضور للتهنئة، يقول:

(أخرتني العلة عن الوزير – أعزه الله – فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني، ويعمر ما أخلته العوائق مني، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على

(1) علي بن جبلة، الديوان، تحقيق: زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة،ت.د، ص(٦٩).
(2) انظر حسن درويش، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٨٩م، ص(٢٨٤).
(3) ابن المعتز، الديوان، يوسف شكري فرحات، ص(٣٨٠-٣٨١).
(4) تجميش: مغازلة المرأة، مادة(جَمَشَ).

الوزير)[1]، فالعلة أخّرت الكاتب عن حضور مجلس الوزير للمشاركة، فجاء كتابه لينوب عنه، ويقوم مقام صاحبه، ففيها تخلص من أزمة الموقف[2]، لتنم هذه الرسالة عن أهمية تقديم التهاني في هذه الأعياد.

فقد خص الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بالصيام، ووعد عباده المؤمنين بالرحمة والمغفرة والقبول، فهي فرصة لتبادل التهاني بدرك المأمول، لما لها من راحة النفوس بقضاء المباح من لذاتها وأوطارها، وإخراج للناس من ضيقة إلى سعة الفطر المريح، لما أجهده من الأعمال والأبدان، فيقول أبو إسحاق الصابي في تهنئة لأحدهم بعيد الفطر، أن يسعد بالصوم الذي قدّم حقه، وأوفاه كاملاً، متعبّداً مخلصاً، مقدماً يد الجود والكرم في هذا الشهر، وحافظاً فاه عن كل قبيح وفاحش، ليهنئ بهذا العيد، ويستقبل فيه لذيذ العيش، فيقول:

يا ماجدا يده بالجودِ مفطرة ... وفوه عن كل هجرٍ صائم أبدا
أسعد بصومك إذ قضيت واجبه ... نسكاً ووفيته من شهره العددا
واسحب من العيد أذيالاً له جددا ... واستقبل العيش في إخطاره رغدا[3]

والشعراء يتخذون من الأعياد مناسبات لتقديم الولاء والطاعة للحاكم، ويهنئونه بالعيد الذي جاء وهو بأحسن حال وعافية، ليغدو العيد مناسبة لتجديد العهد، والانقياد للخلافة الإسلامية، حيث تتواصل بها الخلافة مع الشعب، كما يتواصل الأفراد والجماعات، فيصل كل منهما الآخر، ويصبح العيد مصدراً لدوام الترابط والوصال، كما يصفه أحدهم بقوله:

البس النّعماء ما أو ... مَضَ برقٌ في غمام[4]
واصلاً عيداً بعيدٍ ... ودواماً بدوام[5]

(1) محمد عبد المنعم خفاجي، رسائل ابن المعتز، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، ص(٥٥-٥٦).
(2) انظر محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، ص(٢٢٦-٢٢٧).
(3) الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ١٩٩٤م،ص(٢٠٩).
(4) وَمَضَ: لمع البرق.
(5) الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، المجلد الثاني، ص(٨٧).

وقد يبالغ الشعراء في تقدمة التهاني بهذه المناسبات، كما يرى محمد أبو الأنوار بأن المبالغة الشديدة، والتهويل الزائد سمة ظهرت في العصر العباسي في الشعر والكتابة، وبدأت لها أثر في الحياة الاجتماعية، والسياسية)[1]، ومن صور المبالغات ما قاله أبو بكر الخالدي في تهنئة بالعيد، حيث يصور ممدوحه بأنه عيد للعيد نفسه، وجمال وجهه يفوق جمال هلال العيد، فيقول:

هنيئاً مريئاً بأجرِ أقام ... وصَوْمٍ ترحَّل عنكَ ارتحالا
رأى العيدُ وجهَك عيداً له ... وإن كان زاد عليه جمالاً
وكبَّر حين رآك الهلالُ ... كفعلِكَ حِينَ رأيتَ الهلالا
رأى منكَ ما منهُ أبْصرتَه ... هِلالاً أضاءَ ووجْهاً تَلالا[2]

صور شعر التهاني بعيد الفطر بشيء من البهجة والغبطة بعد انقضاء شهر رمضان، حيث ركز فيه الشعراء على بيان أفعال ممدوحيهم بهذا الشهر من العبادة والجود والكرم الذي قدموه طلباً للخير، وتقرباً لله سبحانه وتعالى، مقرنين التهاني بصفات الممدوحين ومحاسنهم، والأعمال التي تميزهم، وتعلي من شأنهم، فنجد أن التهاني تقترن إلى حد كبير بالقيم الإسلامية والعادات الاجتماعية، كما يجعل الشعراء كثير من هذه التهاني فرصة لشكر الله على تمام نعمته وفضله في إنهاء الصيام بالإضافة إلى أنها مجالٌ للترويح عن النفس، وان كانت تظهر في بعض الأحيان ضعف الوازع الديني في كيفية استقبال العيد بشئ من اللهوالمفرط، كما تأخذ التهاني في كثير من الأحيان معاني تقليدية، كتمنّي السعادة، والسرور للممدوحين، والدعاء لهم، والتمتع بإقبال العمر وإدبارها، مع بقاء العافية.

التهنئة بعيد الأضحى:

إن لارتباط الأعياد بأداء الفرائض معانى سامية، وذلك ربط فرحة العيد بالتوفيق في أداء الفرائض، لذلك فإن العيد يعدّ من شعائر العبادة في الإسلام، لهذا حظي عيد الأضحى باهتمام الأدباء، فقد عُني بعض شعراء العصر العباسي بإزجاء التهاني في هذه المناسبة السعيدة مقدمين

(1) محمد أبو الأنوار، نهضة الشعر العباسي وتطوره، مكتبة الشباب، ص(٣٨).
(2) أبو بكر الخالدي، ديوان الخالدين، تحقيق: سامي الدّهان، دار صادر، بيروت/لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص(٨٠).

التهاني لممدوحيهم بعيدهم، ومتجدد أيامهم، تهنئة تنظم السعادات وتتضمن الخيرات، آخذين بأكمل الحظوظ، وأوفر السعود.

يزف الشعراء التهاني بالعيد، مزينين ممدوحيهم بأحسن الأحوال وأرغدها، كما في تهنئة المتنبي لسيف الدولة بعيد الأضحى، مقدماً معنى جديداً لتهنئته في جعل ممدوحه عيداً للعيد، يحل محله في القلوب، مرتدياً الأعياد المتكررة، فما يمضي عيدٌ إلا وأتاه عيد آخر، ويغدو هذا العيد كحال سيف الدولة بين الناس، فيقول:

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُهُ وعيدٌ لمن سمّى وضحّى وعيّدا
ولا زالتِ الأعيادُ لُبْسكَ بعدَهُ تُسلِّمُ مَخْروقاً وتُعْطَى مُجدَّداً
فذا اليومُ في الأيامِ مثْلُك في الورى كما كنتَ فيهم أوْ حدا كان أوْحدا
هو الجَدُّ حتى تفْضُلُ العينُ أختَها وحتى يكونُ اليومُ لليوم سيِّداً[1]

وتشمل التهاني بعيد الأضحى صوراً تتناسب وطبيعة هذه المناسبة، ومنها ما قدمه أبو إسحاق الصابي في تهنئة بالأضحى، يدعو بها على أعداء ممدوحه الذي يتمنى رؤيتهم كحال الأضاحي التي تُذبح في هذا العيد، فيقول:

مرجيك وصابيكا بذا الأضحى يهنيكا
وقد أوجز إذ قال مقالاً وهو يكفيكا
أراني الله أعداء ك في حال أضاحيكا[2]

وإذا ما صادف العيد مناسبة أخرى، يقرن الشعراء تهنئاتهم بالمناسبتين مبرزين ملامح هذه الأعياد، فهذا ابن الرومي يجد في اقتران الأضحى والمهرجان(٣) تهنئة للمعتمد، مظهراً طبيعة كل عيد، فالأضحى عيد نسك وإيمان، والمهرجان عيد لهو ومرح، وقد ألف المعتمد هذين العيدين من خلال أفعاله الحسنة التي قام بها، ولا ينسى الشاعر هنا، كحال كثير من الشعراء في بيان صفات ممدوحه، في الفضل، والقيادة، والعز، والشرف، والعلم، فيقول:

---

(1) المتنبي، الديوان، تحقيق ، ج/٢، ص(٧٦٠).
(2) الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، ص(٢٠٩).
(3) المهرجان :من الأعياد الفارسية، يطلق في العربية على كل احتفال أو اجتماع كبير.

عيـــــدان: أضـــــحى ومهرجـــــانُ ... مـــــا ضـــــم مثلَيْهمـــــا أوانُ

أعيـــــدُ نُـــــسك وعيـــــدُ لهـــــوٍ ... تجـــــاورا، أبـــــدعَ الزمـــــانُ؟

ألـــــف شـــــكليهما إمـــــامٌ ... أفعالـــــه فيهمـــــا حِـــــسانُ

مُعْتَمِـــــدٌ لـــــم يـــــزلْ عميـــــداً ... ينطبـــــقُ عـــــن فـــــضلِهِ البيـــــانُ

فـــــي كـــــل أرض وكـــــلِّ قـــــوم ... يُثنـــــي بآلائـــــهِ لـــــسانُ

جـــــرى ففـــــاق الملـــــوك ســـــبقاً ... فلـــــيس قَدّامـــــه عنـــــانُ

نالـــــت يـــــداهُ ذُرى مَعـــــالٍ ... يعجـــــزُ عـــــن نيلِهـــــا العيـــــانُ[1]

وتغدو التهاني مناسبة للإشادة بصفات الممدوح وذكر محاسنه، فهـذا مهيـار الـديلمي يمـدح الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ويهنئه بعيد النحر، معلياً من شأنه في جعله صاحب المكانـة العالية، الذي لا يُلحق بمجده، فيقول:

يـــروم ابـــنَ "عبـــد الـــرحيم" الرجـــالُ ... ولا يلحـــــق الـــــرِّدفُ بالكاهـــــلِ

ويرجـــــون مـــــا نالـــــه والكعـــــو ... بُ منحـــــدراتٌ عـــــن العامـــــلِ

ولمـــــا وُزنـــــتَ بأحـــــسابهم ... وأحلامهـــــم زنـــــة العـــــادلِ

رجحـــــتَ وشـــــالت مـــــوازينُهم ... فثاقـــــلْ بمجـــــدك أو طـــــاولِ[2]

يعلى الشعراء مكانة الممدوحين، جاعلين العيد الذي قدم عليهم كحال أيامهم جميعها، كلها أعياد، كما نجد عند مهيار الديلمي الذي يهنئ الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم بعيد النحر، مشيراً إلى أن أيامه أصبحت أعياداً، داعياً إلى أخذ نصيبه الديني والدنيوي منه، ليكـون مـذخور الأجـر، فيقول[3]:

فـــي كـــلِّ يـــومٍ لـــك عيـــدٌ، فمـــا ... يغـــرب فـــي عينيـــك عيـــدٌ أتـــى

وخـــذ مـــن الأضـــحى بـــسهميك مـــن ... حظَّـــيْن فـــي آخـــرة أو دُنَـــى[4]

(1) ابن الرومي، الديوان، ج/٥، ص(١٩٥).

(2) مهيار الديلمي، الديوان، روائع التراث العربي، الطبعة الأولى، ج/٣، دار الكتب المعرفية، ص(٦٥).

(3) المصدر السابق ، ج/١، ص(٥).

(4) دُنَى: جمع دنيا.

أجـــرك مـــذخورٌ لهـــا ذاكَ والـــــ نيّـــروزُ موفـــورٌ علـــى حفـــظ ذا

ويرى الشريف المرتضى في تهنئته أبيه بالعيد، مناسبة سعيدة تجلي النفس من همومها، لتبدو له في غبطة وسرور بهذا اليوم الذي تمّحي فيه الذنوب،وتدفع، كدفع أمطار السماء لزبد الماء الغثاء، ليسعد بهذا العز والمجد، ويسلم من مصائب الدهر، فيقول[١]:

وليُهْنِيـــك العيـــدُ الـــذي عَزَبَـــتْ عنـــه الهمـــومُ وأطبـــق الجَـــذلُ

يـــومٌ تطـــيح بـــه الـــدّنوبُ كمـــا دفـــع الغُثـــاء العـــارضُ الهَطِـــلُ[٢]

فاســـعدْ بـــه فـــالعزُّ مؤتَنَـــفٌ بقدومـــه والمجـــدُ مُقتبِـــلُ

واســـلمْ علـــى نُـــوبِ الزّمـــان وإنْ شَـــقيتْ بهـــا الأمـــلاكُ والـــدُّوَلُ

عنى بعض الشعراء بإزجاء التهاني بهذه المناسبة السعيدة، كما نجد عند الصنوبري في تهنئته لأبي عبد الرحمن ابن أخي الإمام بالعيد، مصور هذه النعمة المتجددة على ممدوحه، التي طلعت عليه بأيمن طالع، ليعيش صاحب بناء للمجد والجود، فيقول:

تـــسربلْ عبيـــدَ الله ســـربالَ نعمـــةٍ مُجَـــدَّدَةٍ تَبْلَـــى بهـــا جِـــدَّةُ الـــدّهْرِ[٣]

وعِـــشْ لبنـــاءِ الجـــودِ والمجـــدِ آخـــذاً بهـــذا وهـــذا مأخَـــذَ الـــشَّمس والبـــدرِ

طَلَعـــتَ علـــى الأضـــحى بـــأيْمَنِ طـــالعٍ فَضحَّى الغنى في وقـــتِ ضـــحَّيْتَ بـــالفقرِ[٤]

كما تحمل التهاني بعيد الأضحى معاني جديدة في الشعر العباسي، في جعل مبغضي الممدوح وأعدائه أضاحي تقدم، كما نجد ذلك عند أبي إسحاق الصابي في تهنئته لأحدهم بعيد الأضحى،متأثراً باسلوب القرآن بقوله(صل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر)[٥] جاعلا مبغضه أبتر وأضاحيه من الملوك الأسياد، ذوي المكانة العالية، فيقول[٦]:

---

(1) الشريف المرتضى، الديوان، تحقيق: رشيد الصّقار، الطبعة الثانية، القسم الثاني، بيروت/لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص(٢٤٢).

(2) الغثاء: ما يعلو السيل من زبد.

(3) سَرَبل: لبس.

(4) الصنوبري، الديوان، ص(١٧).

(5) سورة الكوثر، الآية: ٢-٣.

(6) الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج/٢، ص(٣٣٠).

صـــلِّ يـــاذا العـــلا لربّـــك وانحـــرْ كـــلُّ خيـــرٍّ وشـــانئ لـــك أبتـــرْ[1]

أنـــت أعلـــى مـــن أن تكـــون أضاحيـــ ـــك قرومـــاً مـــن الجمـــال تعفَّـــرْ

بـــل قرومـــاً مـــن الملـــوك ذوي الـــسؤ دد تيجانهـــا أمامـــك تنثـــرْ

كلمـــا خـــرّ ســـاجداً لـــك رأسٌ مـــنهم قـــال ســـيفك الله أكبـــرْ

وفي موقع آخر، يمدح أبو إسحاق الصابئ صمصام الدولة البويهي، الذي غدا كالبدر في وسط الدياجي، وإشراق الشمس في الصباح، يجمع بين الحرب والبأس، والسماحة، ليصل إلى تهنئته بالنحر الذي وفاه بالسعد، وجعل أعادي بني بويه في جملة أضاحيه، فيقول:

يـــا ســـنّة البـــدرِ فـــي الـــدياجي وغـــرَّةَ الـــشمسِ فـــي الـــصباح

صمـــصامُ حـــربٍ وغيـــثُ ســـلمٍ ناهيـــك فـــي البـــأسِ والـــسماح

اســـعد بفطـــرٍ مـــضى وأضـــحى وفـــاك بـــاليمنِ والنجـــاح

وانحـــر أعـــادي بنـــي بويـــه بالـــسيفِ فـــي جملـــةِ الأضـــاحي

فالكـــل مـــنهم ذوو قـــرون يـــصلح للـــذبح والنطـــاح[2]

ومن المظاهر التي كانت سائدة في العصر العباسي في هذه الأعياد الإسلامية تقديم الهدايا، حيث كانت هذه الهدايا تقدم لأغراض وغايات، فقد تكون تعبيراً عن المحبة والتقدير لمن تهدى إليه، أو وسيلة لإظهار الطاعة للخلافة، أو لتحقيق أغراض خاصة لمقدمها.

وقد تنوعت الهدايا التي تقدم بهذه المناسبة، فوجدناها قد اتخذت أشكالاً عدة، حتى لقد وصلت أحياناً إلى حد المغالاة، كما نجد عند الحلاج الذي يشير إلى تقديم الهدية في عيد الأضحى، إذ يظهر الشاعر متأثراً بمعتقده الصوفي ليهدي مهجته ودمه لله عز وجل بهذه المناسبة، بدلاً من الشاء والنعم التي تقدم قرباناً لله عز وجل في الأضحى، فيقول:

إن الحبيـــب الـــذي يُرضـــيه سَـــفكُ دمـــي دمـــي حـــلالٌ لـــه فـــي الحِـــلِّ والحـــرم

إن كـــان ســـفك دمـــي أقـــصى مُـــرادكُمُ فـــلا عَـــدَتْ نظـــرةٌ مـــنكم بـــسفك دمـــي

والله لـــو علمـــت بروحـــي بمـــن علقـــتْ قامـــتْ علـــى رأســـها فـــضلاً عـــن القـــدم

---

(1) الشانئ: المبغض، مادة(شَنَأَ)، أبتر: مقطوع، أو من لا ولد له، مادة(بَتَرَ).

(2) الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج/٢، ص(٣٣٠).

يطـــوف بالبيـــت قـــومٌ لا بجارحـــةٍ بـــاللهِ طـــافُوا فأغْنـــاهُمْ عـــن الحـــرمِ
ضـــحَّى الحبيـــبُ بـــنفسٍ يـــوم عيـــدهم والنَّـــاسُ ضـــحُّوا بمثـــل الـــشَّاءِ والـــنَعَمِ
للنّـــاس حـــجٌ ولـــي حـــجٌ إلـــى ســـكنِي! تُهدى الأضاحي وأهـــدي مُهجتـــي ودمـــي[1]

كما تقدم العطور هدية في هذه الأعياد، فهي تحمل الروائح الزكية، ومنها قول الـصاحب ابن عباد الذي أرسل عطراً للقاضي عبد العزيز الجرجاني، فيقول :

يـــا ايهـــا القاضـــي الـــذي نفـــسي لـــه مـــع قُـــربِ عهـــد لقائـــه مـــشتاقهْ
أهـــديتُ عطـــراً مثـــل طيـــبِ ثنائـــه فكأنمـــا أهـــدي لـــه أخلاقـــهْ[2]

يبين الشاعر مدى الاشتياق والحنين للقاضي على الرغم أنه لم يطل غيابه عنه، فقد قـدم القاضي له طيباً، مثل طيب ثنائه، وأخلاقه العذبة، فكلاهما صاحب رائحة طيبة وزكية.

وهذا أحمد بن يوسف[3] يقدم هدية عينية إلى المأمون في يوم عيد، وكتب إليه: "هذا يـوم جرت فيه العادة، بإهداء العبيد للسادة، وقد أهديت لأمير المؤمنين قليلاً من كثير"، فيقول:

أهـــدى إلـــى ســـيِّده العبـــدُ مـــا نالـــه الإمكـــانُ والجهـــدُ
وإنمـــا أهـــدى لـــه مالـــه يبـــرأ هـــذا ولـــذا ردُّ[4]

كما يقدم الشعراء العطور هدية في هذه المناسبة، ومنها ما قدمه الصاحب بن عبـاد إلـى أبي هاشم العلوي، يهدي إليه عطراً في طبق فضة في يوم أضحى، داعياً ممدوحه إلى قبول هذه الهدية التي تشبه رائحتها أخلاق الممدوح، فيقول:

العيـــد زارك نـــازلاً برواقكـــا يـــستنبط الإشـــراق مـــن أشـــراقكا
فاقبـــل مـــن الطيـــبِ الـــذي أهديتـــه مـــا يـــسرق العطـــارُ مـــن أخلاقكـــا
والظـــرفُ يوجـــب أخـــذه مـــع ظرفـــه فأضـــف بـــه طبقـــاً إلـــى أطباقكـــا[5]

---

(1) الحلاج، أبو المغيث، الحسين بن منصور البيضاوي، الديوان، كامـل الـشيبي، الطبعـة الثانيـة، بغـداد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص(١١٩).

(2) الصاحب بن عباد،الديوان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت/ لبنـان، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٢٥٣).

(3) أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب القفطي، من أهل الكوفة، كان يتولى ديوان الرسائل للمـأمون، وكان أحد وزرائه، ت(٢١٣هـ)، انظر الأصفهاني، الأغاني، مجلد/٢٢، ص ٥٦٥.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج/٢، ص(٥٦٨)، وانظر سامي عابدين في الأدب العباسي(قصر المـأمون وأثره على العصر)، الطبعة الأولى، دار النهضة العربيّة، بيروت/لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص(١٧٣).

(5) الصاحب بن عباد، الديوان، ص(٢٥٩).

التهنئة بالأعياد غير الإسلامية

أولاً: التهنئة بالأعياد الفارسية

ارتبطت الأمة الفارسية بأوثق الروابط وأقوى الصلات بالأمة العربيّة، وتبادلت المنافع، والتجارة، وقامت بينهم الحروب، والعلاقات السياسية، فأثر الفرس في العرب وتأثروا بهم، وهذه الصلات بين الفرس والعرب قديمة، ترجع إلى زمن قديم سابق على الإسلام، وذلك بسبب الجوار بين البلاد العربيّة والفارسية، والاختلاط والتبادل، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين شعوبها، مما أدى ذلك إلى الترابط والتعاون بين الأمم، ودفع الشعوب إلى التأثر بعضها في بعض، سواء في آدابها، أو ثقافتها، أو في تقاليدها وعاداتها[1].

ومن أهم الأعياد الفارسية التي أصبحت موضع احتفاء عند العرب:

أولاً: عيد النيروز:

"نوروز"كلمة فارسية، مركبة من لفظين: أولهما "نو" أي "الجديد" وثانيهما "روز" أي "اليوم"، إذن فكلمة "نوروز" في اللغة تأتي بمعنى "اليوم الجديد"، أما في الاصطلاح، فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذي يقع في اليوم الأول من فصل الربيع[2].

وقيل: إن أول من اتخذ "نوروز" هو (جم شاد): أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس، وإن سبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً، أن الدين كان قد فسد قبله، فلما ملك جدده وأظهره، فسمى اليوم الذي ملك فيه "نوروز"، أي اليوم الجديد[3].

عيد النيروز من المظاهر التي تأثر بها العرب بالفرس، فقد سرت هذه العادات والتقاليد في العهود الإسلامية، وأثرت في المجتمع الإسلامي، وشارك الخلفاء رعاياهم في الاحتفاء بالأعياد الفارسية، كما أعجب خلفاء بني أمية بهذا التقليد، ووجدوا فيه فرصة سانحة لأن تكون الهدايا التي تقدم في أيام النيروز مورداً آخر من موارد الدولة، لذلك فرض الخلفاء الأمويون

---

(1) انظر فؤاد عبد المعطي الصيّاد، النوروز وأثره في الأدب العربي، جامعة بيروت العربيّة، ١٩٧٢م، ص(٥-٦).

(2) المرجع السابق، ص(١٣).

(3) سيد صادق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص(٢٧٣).

على الرعايا تقديم الهدايا في هذا اليوم، حتى جاء العباسيون، فبلغت الدولة العربيّة على أيديهم أوج ازدهارها، بسبب ما توفر لها من حضارة مادية، وما أقدمت عليه من نقل التراث الأجنبي إلى العربي، والوقوف على تقاليد البلاد المفتوحة ومعرفة عاداتها[١].

لقى عيد النيروز استقبالاً كبيراً في العصر العباسي، وكان له مظاهر الفرح والبهجة، ومن ذلك ما كان يقوم به الخليفة المتوكل من جمع للمهرجين، وأهل السماجات، فيلبسون الأقنعة، ويظهرون بين يديه، فينثر عليهم الدراهم، فيقربون منه ويتزاحمون لجمعها، كما كانت عادة العوام في هذا العيد أن يرشوا بعضهم بالماء الملوّن، كما أن في بعض الأقاليم كانوا ينتخبون رجلاً يسمونه أمير النيروز. ليظهر بمظهر مختلف، فقد كان يطلى وجهه بالدقيق، أو يركب حماراً ويجوب بالشوارع[٢].

وقيل: إن أول من افتتح المكاتبة في التهاني بالنيروز والمهرجان، أحمد بن يوسف، أهدى إلى المأمون سفط ذهب، فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه، وكتب معها هذا اليوم جرت فيه العادة بإلطاف العبيد السادة، وقد قال:

على العبدِ حقٌّ لا شك فاعله	وإن عظم الموالي وجلت فضائِله
ألم ترنا نُهدى إلى الله مالهُ	وإن كان عنه ذا غنى فهو قابِله
ولو كان يهدي للجليل بقدره	لقصر عنه البحر عنك وناهله
ولكننا نُهدي إلى من تجله	وإن لم يكن في وسعنا ما يُشاكله[٣]

يبين الشاعر ضرورة تقديم التهنئة والهدية في مثل هذه المناسبة، وكأنه حق تقدمه الرعية إلى الخلفاء والسادة، ويعلي الشاعر من منزلة ممدوحه وذلك بتقصير الهدية عن مكانته، وهنا يشير إلى ضرورة تقديم الهدايا وكأنها سنة، حتى إن لم تكن ترقى إلى مستوى المهدى إليه، وهذه فكرة جديدة في التهنئة والهدايا وذلك بوجوب تقديمها في المناسبات.

---

(1) انظر فؤاد عبد المعطي، النوروز وأثره في الأدب العربي، ص(٩-٤-٤٦).

(2) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر العباسي منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، دار المعارف، ص(٨٨).

(3) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ، ص ١١٢.

والنيروز عرف بالبهجة والسرور في النفوس، فقد كان رمزاً للسعادة، والجمال، وراحة النفس، وفي هذا قال أبو محمد المطران الشاشي[1]، في قصيدة نيروزية:

قد أتاك النيروزُ وهو بعيدُ ... مرّ من قبله قريباً رسيلُ
سل سبيلاً فيه إلى راحة النفـ ... ـس بـراح كأنّها سلسبيلُ
واشتمالاً على السرور وهل يجـ ... ـمع شمل السرور إلا الشمولُ[2]

تبارى الشعراء وتفننوا في تقديم التهاني بالنيروز، وتصوير جماله الذي يشبه جمال الممدوحين، كما نجد ذلك عند الشاعر مهيار الديلمي الذي يمدح الملك بهذه المناسبة ويهنئه بها، فيقول:

وإن أتى رائدُ النيروز مجتدياً ... أيْمانَكم فالروابي الخُضْرُ والعشُبُ
فمن جباهكُمُ نورُ الربيع لنا ... ومن أكُفّكُم الأنواءُ تنسكبُ
يوم يكُرُّ به إقبالُ جَدّكُمُ ... غداً على ملككم ما كرّت به الحِقَبُ
تَجلُونَ من حسنه خطَّ العيون فللـ ... ـأشعار فيكم حظوظُ السمع والطربُ
فما بقيتم فأيّامي بعزّكُمُ ... كما أحبُّ وأحوالي كما تجبُ[3]

يغتنم الشاعر هذه المناسبة للإشادة بالملك وتقديم التهنئة، ليجعل من ممدوحه رائداً لهذا النيروز الذي قد حل، فمنه تأتي الخضرة والعشب، ومن جبينه يسطع نور الربيع، وكأن هذه المناظر الربيعية الجميلة تجلي العيون بالنظر إليها، كما أن الأشعار تثير الطرب في مسمعها.

إن إقبال النيروز ناشراً حلله، ومنيراً حليته، فرصة للشعراء في التقرب إلى الخلفاء والسادة، حتى كأنهم يقولون، كل سنة وهذا الممدوح وأهله سالمون، مشرقون كما النيروز، ومنها ما قاله الشريف المرتضى يمدح بهاء الدولة، ويهنئه بالنيروز متمنياً له دوام النعمة وبقاء الحكم، فيقول:

---

(1) أبو محمد المطران، هو الحسن بن علي بن مطران، أبو محمد المطراني، شاعر الشاش، كان بخير وحسن حال، شعره مدون كثير، انظر يتيمة الدهر، ج/٤، ١٣٢.
(2) الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، ص(٢٢٣).
(3) مهيار الديملي، الديوان، ج/١، دار الكتب المصرية، د.ت، ص(١٣٢).

بنـــــي بويـــــه أتـــــم الله نعمـــــتكم ولا يـــزلْ مـــنكم فـــي الملـــكِ مُحـــتكِمُ

وأنـــت يـــا ملـــكَ الأمـــلاكِ عـــشْ أبـــداً فمـــا ســـلمت لنـــا فـــالخلقُ قـــد ســـلِموا

وانعـــمْ نعمـــتَ بـــذا النيـــروز مُرتقيـــاً إلـــى المحـــلِّ الـــذي لـــم تَرْقـــهُ قـــدَمُ

مُبَلَّغَـــاً كلمـــا تهـــوى وإن قُـــصُرَتْ عنـــه الأمـــانيُّ موصـــولاً لـــك الـــنِّعَمُ[1]

يقدم الشاعر صورة جديدة للتهنئة بهذه المناسبة، وذلك بجعـل النيـروز مبلغـاً لتحقيـق الطموحات والغايات التي يسعى إليها الممدوح، وفي هذه المناسبة يشير الـشاعر إلـى سـلامة الممدوح وذلك أن في سلامته، سلامة للخلق، كما أشار إلى ذلك المتنبي في قصيدة لـه بـسيف الدولة بقوله:

"إذا سلمتَ فكُلّ الناس قد سَلِموا"[2]

يشيع في العصر العباسي ظاهرة التهنئة بعيد النيروز بشكل واسع، وقـد حـاول بعـض الشعراء أن يضفي على هذا العيد روحاً إسلامية، ومنها ما كتبه الحـسن بـن وهـب[3] يهنـئ المتوكل بهذا العيد، حيث يشير إلى دور الخليفة من الناحية الدينية فـي الحفـاظ علـى الـدين ونصرته والذود عنه، كما يصور استبشار الناس بخلافة المتوكل، وثقتهم بقيادته، وعـزتهم بـه، وتتضح النزعة الإسلامية في بيان دور الخليفة، في قمع أهل الشرك، ومحاربتهم، هـذا الأمـر الذي قرت به عيون المسلمين في نصرته للإسلام، وإذلاله للكفر، فيقول[4]:

فـــداك الزمـــان، وأهـــلُ الزمـــان إمـــامُ الهـــدى بـــك مُستبـــشرينا

وقـــد ألقـــوا إليـــك مقاليـــدَهم جميعـــاً مُطعـــين، مُـــستوثقينا

ولا زلـــت زينـــاً لأعيادنـــا وللـــدين كهفـــاً وحـــصناً حـــصينا

يعـــز بـــدولتك الـــصالحون ويـــشقى بـــك الـــشركُ والمـــشركونا

---

(1) الشريف المرتضى، الديوان، القسم الثاني، ص(٤١٢).

(2) المتنبي، الديوان، ج/٢، ص(٧٥٤).

(3) الحسن بن وهب(ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٥م)، الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي، أبو علي، كاتب مـن الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار ، وهو أخو سلمان(وزير المعتـز والمهتـدي)، الأصـفهاني، الأغانيو مجلد/٢٢، ص ٥٣٣.

(4) الجاحظ، المحاسن والأضداد، قدم له وشرحه، عاصم عيتاني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلـوم، بيـروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص(٢٤٠).

وكـــم فعلـــةٍ لـــك فـــي المـــشركين أقـــرّت عيونـــاً، وأبكـــتْ عيونـــا!

النيروز مصدر سعادة ونعمة، كما يصوره الشريف الرضي في تهنئة قدمها لبهاء الدولـة بعيد النيروز، الذي قدم إليهم زائراً منتظراً، مبيناً أثر هذا العيد في نيل الغايـات، ويخلـع علـى ممدوحه صفات جمالية كجمال النيروز، فهو المراد والمبتغى والملجأ، والمورد والعـز الـذي لا يشوبه كدر، وكأن الشاعر بهذه التهنئة يضفي على ممدوحه جماليات النيروز، فيقول[1]:

وانْعَـــــمْ بِـــــذا النيـــــروز زَوْ رأ نـــــــــازلاً ومُنْتظـــــــــرْ

قـــــضَيْتَ فيـــــهِ وَطَـــــراً ومـــــا قـــــضَى منـــــك وَطَـــــرْ[2]

أنـــــت المُـــــرادُ والمَـــــرَا د والمَعَـــــــــاذُ والعُـــــــــصُرْ[3]

ردْ مـــــن جِمـــــام العـــــزِّ لا مُطْرَقـــــــــاً، ولا كَـــــــــدِرْ

وَازْدَدْ بقـــــــــاءً وعُلـــــــــىّ مـــــا بَعْـــــدَ وِرْدَيْـــــك صَـــــدَرْ

مُقـــــــدَّماً إلـــــــى العُلـــــــى مُـــــــؤخَّراً عـــــــن القَـــــــدَرْ

ونجد المتنبي في تهنئة يقدمها إلى أبي الفضل بن العميد بالنيروز، يضيف معـاني جديـدة في هذه المناسبة، وذلك أن النيروز هو الذي قدم إلى ممدوحه، ليجعل من ممدوحه مراداً يقـصده النيروز، كما يشير الشاعر إلى ما يبثه النيروز من فرح وسعادة فـي النفـوس، مبينـاً أصـوله الفارسية، وتعظيمهم له، حتى حسدته جميع الأيام لتعظيمهم إيّاه، والطقوس الّتي تمارس فيه مـن لبس الأكاليل، لتأتي هذه التهنئة بأبهى الصور وأجملها، فيقول[4]:

جـــاء نَوْروزُنَـــا وأنـــت مُـــرَادُهْ وَوَرَتْ بالـــــــذي أرادَ زنـــــــادُهْ

هـــذه النّظـــرةُ الّتـــي نالَهَـــا مِنْـــ ـــكَ إلـــى مِثْلِهـــا مـــن الحَـــوْل زادُهْ

يَنْثنـــي عنـــكَ آخِـــرَ اليـــوم مِنـــهُ نـــاظرٌ أنـــت طَرْفُـــهُ ورُقَـــادُهْ

عظّمتْـــهُ ممالِـــك الفُـــرس حتّـــى كُـــلُّ أيّـــام عامِـــهِ حُـــسّادُهْ

(1) الشريف الرّضي، الديوان، تعليق وضبط: محمود مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، ج/١، دار الأرقـم بـن أبي الأرقم، بيروت/ لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص(٤٥٥-٤٥٦).

(2) الوطر، الحاجة فيها مأرب .

(3) المراد: ما يريده المرء،(راد) المرعى ، معاذ: الملجأ والاعتصام، مادة(عاذ).

(4) المتنبي، الديوان، ج/٢، ص(١٠٤٤).

مالِيـــــسْنَا فيـــــه الأكاليـــــلَ حتّـــــى لِيـــــسَتْهَا تِلاعُـــــهُ ووِهـــــادُهْ[1]

شق النيروز لنفسه احتفالاً رائعاً، ليشيع فيه ظاهرة الهدايا، فيغدو موسماً خصباً لتقديم الهدايا، سواء كان ذلك للخلفاء، أو الأمراء، أو الأصدقاء، ولعل ذلك كنوع من التعبير عن الود والصداقة، أو أنها مكان لنيل العطايا والتكسب وبخاصة من الخلفاء، كما تحمل هذه الهدايا دلالات معنوية أو مادية، فلهذه الهدايا أثر في النفس، فهي تقرب القلوب، وتوثق العلاقات، وتزيل الضغائن، وقد قيل عنها: (الهدية تفتح الباب المصمت، وتسل سخيمة[2] القلب[3]).

القصائد من أجمل الهدايا التي قدموها الشعراء بهذه المناسبة، فهي تحمل دلالات معنوية في نفس المهدى إليه، فهي تعلي من شأنه، ومنها ما قدمه علي بن جبلة إلى حميد الطوسي قصيدة يوم نيروز، مبيناً محاسنه، فهو صاحب عطاء وكرم، وشجاعة وجود، يرقى على مستوى البشر، ليتخذ الشاعر من هذه المناسبة فرصة للتهنئة والتودد إلى ممدوحه بذكره لمثل هذه الصفات، فيقول:

حميـــدُ يـــا قاســـمَ الـــدنيا بنائلـــه وســـيفُه بـــين أهـــلِ النكـــثِ والـــدِّينِ
أنـــت الزمـــانُ وقـــد يجـــري تـــصرّفه علـــى الأنـــام بتـــشديدٍ وتليـــينِ
لـــو لـــم تكـــن كانـــت الأيـــامُ قـــد فنيـــت بالمكرمـــات ومـــات المجـــدُ مـــذحينِ
صـــوّرك الله مـــن جـــودٍ ومـــن كـــرمٍ وصـــوّر النـــاسَ مـــن مـــاءٍ ومـــن طـــينِ
نهـــدي لـــك المـــدحَ موزونـــاً مَحْبـــره وتكـــسبنا عطـــاء غيـــر مـــوزونِ[4]

ويبدو أن هذه الأنوع من الهدايا التي تقدم في التهاني بعيد النيروز كانت ملمحاً يركز الشعراء على إبرازه في هذه المناسبة، حيث كانت القصائد والمدائح تقدم كهدايا، ومنها قول العباس الهمذاني حيث يهدي للخليفة المأمون أحلى القصائد والمدائح والخطب في يوم النيروز،

(1) الوهاد: جمع(وهدة)، وهي الأرض المنخفضة والتلاع(تلعة) ما ارتفع من الأرض.
(2) سخيم: الحقد والغضب، مادة(سخم).
(3) الجاحظ، المحاسن والأضداد، عاصم عتياني، ص(٢٣٥).
(4) علي بن جبلة، الديوان، تحقيق: زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة، ١٩٧١م، ص(٧١).

مشيراً إلى تميزه بهذه الهدية، ويبدو أن هذه معاني مكررة لدى الشعراء في تقديمهم للتهاني والهدايا إلى ممدوحيهم، فيقول[1]:

أهدى لك الناس، المَرا كب والوصائفَ والذهبْ
وهديتي حلوُ القصا ئدِ والمدائحِ والخطبْ

وأهدى بعض أهل العصر العباسي، إلى بعض إخوانه كتاباً في أول يوم نقل فيه أمير المؤمنين المعتضد بالله موعد النيروز (قام المعتضد بالله بإعادة النظر في إصلاح التقويم، وقدم النيروز سبعين يوماً عن موعده الذي كان يعرف به، وذلك من أجل التخفيف على الزراع، الذي كانوا يضطرون إلى دفع الخراج قبل حصد زرعهم بمدة) [2]، مشيراً إلى السنّة التي اختطها الناس في مثل هذا اليوم من ضرورة تقديم الهدايا، ويرى بأن يهدي الشكر وذلك لما يحمله من دلالات معنوية في نفس المهدى إليه، فيقول:

هديّةُ عبدٍ قد علا فوق قدره فأهدى لمن يهواهُ عن غيرِ أمرهِ
رأى كلَّ عبدٍ مُهدياً لحبيبهِ فلم يرَ أن يُهدى له غير شُكرهِ[3]

وللمكانة التي كانت تحتلها الهدية في عيد النيروز كانت تطلب، ومنها ما قاله جحظة البرمكي: دخلت على أبي الصقر بن بلبل[4]، وهو وزير في يوم النيروز، فقال: أين هدية النيروز (عيد الربيع) يا جحظة؟ فقلت: (في صدري: أيد الله الوزير) قال: أحب الهدايا هاتها، فأنشدته:

بـ (أبي الصقرِ) علينا نِعَمُ اللهِ جَليلَهْ
مَلكٌ في عَيْنِهِ الدُّنـ ـيا لراجيهِ قليلَهْ[5]

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين ورفاقه، ج/٦، نخبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص(٢٨٩).

(2) انظر فؤاد عبد المعطي الصيّاد، النوروز وأثره في الأدب العربي، ص(٩٥-٩٦).

(3) أبو بكر الأصبهاني، الزّهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، ج/٢، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص(٧٤٩).

(4) أبو الصقر بن بلبل، ت(٢٧٨هـ)، كان وزيراً للمعتمد، جمع بين السيف والقلم- الفهرست.

(5) جحظة البرمكي، جمع وتحقيق: جان عبد الله توما، إشراف سعدي ضنّاوي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص(١٤١).

ونجدهم يبادرون إلى تقديم الهدايا بشقيها المعنوية من التهاني والمديح، والمادية كالورود التي تأخذ طابعا مميزاً في يوم النيروز، يوم الجمال والزهرة والخضرة، كما يصورون ممدوحيهم بالورد في نضارته وإشراقه، كما نجد عند أبي أسامة الكاتب الذي بعث الورود إلى بعض أخوانه في يوم نيروز، فقال:

لا زلت كالوردِ نضير الميسم ونافذاً مثلَ نفوذِ الأسهم[1]

كان لعيد النيروز في العصر العباسي شأن كبير من الاهتمام، فقد أصبح من العادات التي يحرصون على الاحتفال بها، مقدمين التهاني بمقدمه الذي يستبشرون به، وغدا مناسبة مهمة لدى الشعراء الذين يتقربون بتهانيهم إلى الخلفاء والأمراء، والأصدقاء، ويصبح وسيلة من وسائل التقرب والتحبب لديهم، مصورين ممدوحيهم بأحوال مختلفة، تملؤها الصور المشرقة كإشراق النيروز، متمنين قدومه وهم بأفضل الأحوال وأتمها، متخذين من النيروز صوراً مشرقة لإضفائها على ممدوحيهم، كما نجد أن من مظاهر الاحتفال بهذا العيد تقديم الهدايا التي أصبحت كأنها واجب اجتماعي يهتم الناس بتقديمه، سواء كانت الهدايا من القصائد والمديح، أو من الهدايا المادية.

ثانياً: المهرجان

المهرجان: كلمة فارسية معربة أصلها (مهركان) وقد كان من الأعياد الفارسية المهمة، وليس أدل على ذلك من أن كلمة (مهرجان) صارت تطلق في العربيّة على كل احتفال أو اجتماع عظيم، وهذا العيد في الحقيقة يلي في الشهرة عيد النيروز. وكان الفرس يحتفلون بهذا العيد منذ أقدم العصور[2]، ويكون عيد المهرجان في السادس عشر من (مهرماه) من شهر الفرس، ولكن النيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة[3].

---

(1) القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلميّة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص(٢٨٧).

(2) فؤاد عبد المعطي، النوروز وأثره في الأدب العربي، ص(٢٥).

(3) الجاحظ، المحاسن والأضداد، قدم له وراجعه عاصم عتياني، ص(٢٣٢)، وانظر أبو الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الأولى، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص(٤٦٤).

والحقيقة أنه لا يوجد سبب معين في اتخاذ هذا اليوم عيداً للمهرجان، وقد ذكر تفسيرات عدة، منها ما قيل: إن سبب تسمية الفرس لهذا اليوم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى (مهر) يسير فيهم بالعنف والعسف، فمات في النصف من هذا الشهر، وهو (مهرماه) فسمى ذلك اليوم مهرجاناً، وتفسيره نفس (مهر) ذهبت[١].

ونتيجة للعوامل والصلات التي ارتبطت بين العرب والفرس منذ زمن بعيد، دخلت هذه الأعياد إلى العرب، وأصبحت مناسبات يحتفلون بها، ومجالاً رحباً للتهاني، ومنها ما قدمه أبو علي البصير[٢] يهنئ الفتح بن خاقان بيوم مهرجان حيث يتخذ الشاعر فكرة أو صورة جديدة للتهنئة التي يقدمها، بحيث تصبح هوية له، ألا وهي الشكر الذي يقدمه إلى ممدوحه، فيقول:

إنّي جعلت هويتي في المهرجان إليك شكري
لما تعدّر واجب فسح التعذر فيه عذري
فإذا أجزت على اسم من وافق هديته ببّر
فأدر على اسمي دارة واكتب عليه خليج فقر[٣]

ويقدم الشعراء التهاني بالمهرجان باعتباره طالع سعد، حيث عرف بحسن مجيئه، ومنها ما قدمه الشريف المرتضى من تهنئة لبهاء الدولة بيوم المهرجان الذي ينتظر قدومه ليأتي بعد انقطاع، محملاً بالخيرات، قادماً بأوانه مقدماً النعم واللذات، فيقول[٤]:

والمهرجانُ زمانٌ بالسّعود وبا لنُّجْح القريب إليك الدّهر عجلانُ[٥]
مضى الهجيرُ به عنا لطيّته فالطُّلُ مُستبردٌ والجوُّ ريّانُ[٦]

---

(1) سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، ص(٢٧٦).

(2) أبو علي البصير، هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب، كنيته أبو علي، ولقبه البصير والضرير، لقب بالبصير لذكائه وفطنته على الرغم من أنه كان ضريراً،شاعراً بليغاً مترسلاً.الفهرست،شرح يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ص(١٩٨).

(3) يونس أحمد السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الأولى، ج/٢، عالم الكتب، بيروت/ لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص(١٦٠).

(4) الشريف المرتضى، الديوان، القسم الثاني، ص(٥٠٦).

(5) النّجح: النّجاح، مادة (نجح).

(6) الرّيان: الممتلئ، مادة (روى).

فـــانعم بـــه وخـــذِ اللـــدّات مـــن يـــده فإنّمـــــا هـــــو للـــــدّات إبّـــــانُ[1]

ودمْ لنـــــا لنعـــــيم مـــــا لغايتـــــه وقـــــتٌ ولا مزيـــــدٍ منـــــه نقـــصانُ

ومن الصور التي رسمها الشعراء في التهاني بالمهرجان، بأنه متـنفس لإزالـة الهمـوم، والترويح عن النفس، وذلك بما يتركه هذا اليوم من سعادة في النفوس، ومـن خـلال مظـاهر الاحتفال التي أخذت تظهر على الناس بارتدائهم للحلي، والأثواب، ووضع العطور، والتبختر في المشية كما يصورها ابن الرومي في تهنئة لعبيد الله بن عبد الله بالمهرجان، مصوراً الدنيا امرأة جميلة مزينة تجذب الرجال إليها في مثل هذا اليوم، إلا أنها تبقى عفيفة متمنعة لتـدوم مظـاهر السعادة والجمال، كما ينوع الشاعر في رسم معالم الفرح التي لا يكتفِ بظهورها على الإنـسان، بل تمتد إلى الأرض والبحار اللذين يخرجان ما بجوفيهما من الجواهر الثمينة لتزين الدنيا بهـذا العيد، فيقول[2]:

وأديـــل الـــسرورُ واللهـــو فيـــه مـــن جميـــعِ الهمـــومِ والأحـــزان

لبـــستْ فيـــه حَلْـــي حَفْلتِهـــا الدُّنْـــ ـــيا وزافـــت فـــي منظـــر فتـــان

وأذلـــت مـــن وشـــيها كُـــلَّ بُـــردٍ كـــان قـــدِماً تـــصونُه فـــي الـــصوّان[3]

وتبـــدَّت مثـــل الهْـــدىِّ تهـــادَى رادع الجيـــب، عـــاطرَ الأبـــدان

فهـــي فـــي زينـــةِ البغـــيِّ ولكـــن هـــي فـــي عفـــةِ الحَـــصَان الـــرزّان[4]

كـــادت الأرضُ يـــوم ذلـــك تُفـــشي سِـــرّ بطنانهـــا إلـــى الظُّهـــران

فتُحلّـــي ظهورَهـــا مـــا يـــواري بطنُهـــا مـــن معـــادن العقيـــان[5]

وتبـــوحُ البحـــار بالـــدُّر بوْحـــاً وبمـــا أضـــمرت مـــن المَرْجـــان

ومن الأمور التي يحرص الشعر على ذكرها في التهاني بالمهرجان، الإشارة إلى أصوله، ووقت قدومه، كما في التهنئة التي بعثها سعيد بن حميد إلى أحد الأمراء، مشيراً إلى أنه يوم كان

---

(1) إبّان: أوانه، مادة(آب).

(2) ابن الرومي، الديوان، ج/٦، ص(٢٣٨).

(3) الصّوان: وعاء يصان فيه الثياب.

(4) الحصان: المرأة المحصنة بعفتها، مادة(حَصُن) .

(5) العقيان: جمع عقيق، وهو من الأحجار الكريمة الثمينة.

يحتفل به آباء الممدوح الأشراف الذين يقدرون هذا العيد، ويعلون من شأنه، وإلى الوقت الذي يأتي به، وذلك أنه يأتي في الشتاء، فيقول سعيد بن حميد:

غادِ في المهرجان كَأساً شمولاً وأطِعْني ولا تُطيّعَنْ عَذولا
فهو يومٌ قد كان آباؤك الغرُّ يحلّونَه محلاً جَليلاً
إن للصَّيف دولة قد تقضَّت وأراك الشتاء وجهاً جميلا[1]

ومن الصور التي تظهر لدى الشعراء في تقديمهم للتهاني بالمهرجان، هي الصور ذات المعاني والنمط التقليدي في التقرّب إلى الممدوح، ومنها ما قاله الشريف المرتضى في تهنئة لبهاء الدولة بالمهرجان، مشيراً إلى أثر هذا اليوم في سعادته، مستخدماً النمط التقليدي في التهنئة من الدعاء للممدوح بطول العمر، والسلامة، والسعادة، وبهذا تكون التهاني فرصة للجذب نحو الممدوح والتحبب عنده، فيقول:

وأسعد بيوم المهرجان وخذ منه طويل العمر مقتبلاً
وأسلم ولا (سلب) الزمان لكم ظلاً يفيءُ لنا ولا نَقَلا
وعيونُنا لا أبصرتْ أبداً أمراً لأمركم ولا أجلا
واحتلّتِ النّعماء داركم وامتدّ فيها العزُّ واتّصلا
فعلى الإله إجابني لكم وعليّ بالإشفاق أن أسَلا[2]

والمهرجان كغيره من المناسبات، والأعياد التي تأخذ مظاهر مختلفة في التعبير عن الفرح، ومنها الاحتفالات وتقديم الهدايا التي أصبحت تتخذ أشكالاً مختلفة، فمنها ما يكون بالقصائد والمديح، ومنها ما يكون بالهدايا المادية التي قد تنم عن شخصية صاحبها، وطبيعة الشخص المهدي إليه، بالإضافة إلى العلاقة بين الهدية والمناسبة، ومن هذه الهدايا ما قدمه شاعر متخذاً مما نسجه لسانه من كلام عذب مشرق كإشراق المهرجان ونوره، ليقدمها إلى ممدوحه في هذا اليوم، فيقول:

ليوم المهرجان بك اختيالٌ وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ

(1) يونس احمد السامرّائي، شعراء عباسيون، ج/٣، ص(٢٥٩).
(2) الشريف المرتضى، الديوان، القسم الثاني، ص(٢٨٢).

جَعَلْتَ هديّتي لك فيه وشياً وخيرُ الوشي ما نسجَ اللسّانُ[1]

حرص المجتمع العباسي على تبادل التهاني بالأعياد الفارسية التي دخلت عليه، متخذاً أجمل الصور في تهانيه المقدمة إلى الممدوحين، التي تشف عن انتظار الشعراء لهذه المناسبات لتشكل لهم مساحة في التودد والتحبب لمن يقدمون تهانيهم لهم، محاولين أحياناً إضفاء عليها مسحة إسلامية.

- **التهنئة بالأعياد المسيحية**:

الأعياد محطات زمانية يتوقف عندها الكثير لإحياء حوادث ومناسبات معينة دينية واجتماعية وغيرها قد حدثت عبر الزمن، وفي المسيحية هناك أعياد مختلفة لها علاقة بالإيمان والمعتقدات الدينية ومن هذه الأعياد، عيد الشعانين.

- **عيد الشعانين**:

وتفسيره بالعربية التسبيح، ويحتفل به النصارى في سابع أحد من صومهم، وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخيل من الكنيسة، وهو يوم ركوب "المسيح" لليعفور، وهو (الحمار) في القدس ودخوله (صهيون) وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[2].

وفي هذا اليوم يهنئ الشريف الرضي نصرانياً بعيد الشعانين الذي قدم في يوم جميل، كجمال وجوه العذارى ذات العيون الواسعة، فيزيده العيد سرورا بعد صيام تقضى ،وتحمل اليه الضمائر التهنئة بالود، فيقول الشريف الرضي[3]:

وَرُبّ يَوْمٍ صَقيل الوجه تَحسَبُهُ مُرصَّعاً بجباهِ الخُرَّدِ العينِ[4]
أتاك يَقْتاد عيداً في حقائبِهِ زَادُ السّرُور على الطير المَيامينِ
فالبَسْ جَلابيبَهُ البيضَ التي شَرُفتْ واخرُجْ عن الصّوم من أثوابهِ الجُونِ[5]
جاءت تُهنّيك بالوُدّ الذي علقِتْ منّا الضمائرُ لا يوم الشّعانين

كما كان بعض الخلفاء العباسيين يحتفلون بيوم الشعانين، مقيمين مظاهر الفرح بقدومه، كما

---

(1) الزوزني، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: محمد محي الدين بن محمد سالم، ط/٢، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، مجلد/٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص(١٦٧).

(2) سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، الطبعة الأولى، دار الأمين، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص(٢٨٣).

(3) الشريف الرضي، الديوان، ج/٢، ص(٤٣٥).

(4)صقيل: مجلوّ، مادة(صقل)، الخرّد: العذارى، مادة(خرد).

(5)الجون: السود، مادة(جان).

يرويه أحمد بن صدقة[١]، بقوله: "دخلت على المأمون في يوم الشعانين، وبين يديه عشرون وصيفة، قد تزينَّ بالديباج الرومي، وعلقن في أعناقهن صلبان الذهب، وفي أيديهن الخوص والزيتون، فقال لي المأمون: ويلك يا أحمد، قد قلت في هؤلاء أبياتاً فغنني فيها، ثم أنشدني[٢]:

ظبـــــــــاءٌ كالـــــــــدنانير مِـــــــلاحٌ فـــــــي المقاصـــــــير
جلاهُـــــــــنَّ الـــــــــسعانينُ علينـــــــا فـــــــي الزنـــــــابير[٣]
وقـــــــد زَرْقـــــــنَّ أصـــــــداغاً كأذنـــــــــــابِ الزَّرازيـــــــــر[٤]
وأقـــــــــــبلن بأوســـــــــــاطٍ كأوســـــــــــاطِ الزنـــــــــــانير

لتثير هذه الأجواء في نفس المأمون، بما فيها من شرب ورقص وغناء، فيقدم عطاياه، ويعطي المغني ألف دينار، وللجواري ثلاثة آلاف دينار[٥].

كما يصف الشعراء تلك السعادة والسرور التي تكون لهذا اليوم، كما يظهرها عبد الله بن العباس الربيعي[٦] بقوله:

أنـــا فـــي قلبـــي مـــن الظَّبـــي كلـــومُ فـــدع اللَّـــوْمَ فـــإن اللَّـــوم لـــومُ
حبّـــذا يـــومُ الـــسَّعانين ومـــا نِلـــتُ فيـــه مـــن ســـرورٍ لـــو يَـــدومُ[٧]

ويبدو أن التهاني التي كانت تقدم في أعياد النصارى في العصر العباسي، إما أنها قليلة، أو أنه لم يصل إلينا منها شيء، ولعل ذلك كما يرى محمد الدروبي يرجع إلى أن مؤرخي الأدب العربي – وجلّهم من المسلمين – لم يلتفتوا إلى هذا النوع من التهنئات، ولم يعنوا بتقييده، لاختصاصه بالنصارى من جهة، ولعدم أهميته للمسلمين من جهة أخرى[٨].

---

(1) أحمد بن صدقة بن أبي صدقة، كان طنبورياً محسناً، مقدماً حاذقاً، حسن الغناء، محكم الصنعة، له غناء في الأرمال والأهزاج، استحسن المتوكل غناءه، وأجزل صلته، وانظر الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثاني والعشرون، ص(٢١٥).

(2) الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستّار أحمد فرّاج، المجلد الثاني والعشرون، ص(٢١٧).

(3) الزّنبر: الخفيف الظريف.

(4) زرفنّ: أسرعن، مادة(زرف)، أصداغ: المحاذاة في المشي صدغاً لصدغ، مادة(صدغ) الزرزور: طائر.

(5) الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثاني والعشرون، ص(٢١٧).

(6) عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع، ويكنى أبا العباس، شاعراً مطبوعاً، ومغنياً محسناً، أخذ ميثاق على نفسه ألاّ يغني إلا لخليفة أو ولي عهد، كان الرشيد يجزل عطاياه لحسن غناءه، أنظر الأصفهاني، الأغاني، مجلد/١٩، ص(١٦٤).

(7) الأصفهاني، الأغاني، مجلد/١٩ ، ص(٢١١).

(8) محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، ص(٢٢٩).

الفصل الثالث

الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني

الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني

التهاني بالمناسبات الاجتماعية:

التهنئة مظهر من المظاهر الاجتماعية التي ترتبط بمناسبات مختلفة، غالباً ما تكون مبعثاً للبهجة والسرور، ومدعاة للتواصل والتقارب بين الأصدقاء والخلان ومشاركة لأصدقائهم الفرحة، ومبادلتهم التهنئة فإذا ما أصابهم خير من زواج، أو إنجاب للأبناء، أو ختانهم، وغيرها من المناسبات، انهالت عليهم التهاني.

ويظهر في شعر التهاني ما كانت تحياه الحاضرة العباسية آنذاك، في الحفاظ على معاني الإخوة، والصداقة، والاحتفال بأسباب المودة والألفة والرعاية لواجبات الأخوان والخلان، كما ساعدت طبيعة الحياة العباسية، وما فيها من غنى سياسي وديني واجتماعي على انتشار هذا اللون من الشعر وازدهاره.

ومن المناسبات الاجتماعية التي كثرت فيها التهاني:

أولاً: التهاني بالزواج:

الزواج من المناسبات التي قدم فيها الشعراء معاني البهجة والسعادة في تهانيهم، وأخذوا يظهرون ما أصاب المتزوجون من نعمة، وما جلبه الحدث السعيد من الفرحة الغامرة، ونجد الشعراء يحرصون على المبادرة في تسجيل هذه المناسبة لدى الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والأصدقاء، فينظمون القصائد لتهنئتهم، فهذا ابن الرومي يقدم صورة فنية جميلة لزفاف المعتضد الذي تبتهج له النفس حين تزف الشمس إلى بدر الدجى، وقد لاح نجم سعدهما، في إقبال النفس إلى منيتها، بزفاف السيدة إلى سيدها صاحب السؤود، فسرّ بذلك الزمن، فيقول:

زُفَّتْ إلى بدرِ الدُّجى الشمسُ ... ولاحَ سَعْدٌ، وخبا نَحْسٌ

وأقبلتْ نفسٌ إلى مُنْيةٍ ... يمثلها تغتبطُ النَّفسُ

سيدةٌ تُهدى إلى سيدٍ ... لم يُمس في سُؤددِه لَبْسُ

ذلك عُرْسُ الدّهرِ من أجْلِهِ ... حَنّ غدٌ، والتَفَت الأمسُ[1]

(1) ابن الرومي، الديوان، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ج/٣، ص (٢٦٩).

ويكثر الشعراء من وصفهم للعروسين فصوروهما بأبدع الصور وأجملها، مظهرين معالم الفرح بإقبال العرس الذي به تنال الآمال، ليزف الزوج إلى عروسه، وسط جو من البهجة والجمال، فإذا تقاربت السعود، صلحت الأحوال وتحسنت، فيقول أبو إسحاق الصابي:

عُرْسٌ يُعرِّسُ عنده الإقبالُ وتُنَالُ من جَنَبَاتِهِ الآمالُ
بدرٌ يُزفُّ عليه وَسْطَ سَمائِهِ شمسٌ عليها بهجةٌ وجمالُ
وإذا تقاربَتِ السّعودُ فعندها يُرْجَى الصلاحُ وتحسنُ الأحوالُ[1]

ويشيع في مناسبة الزواج تقديم الهدايا، ويعبر كل عن مدى فرحته بهذه المناسبة السعيدة، لتحتل الهدايا دوراً في توثيق أواصر المحبة، والإخاء، فقد تتخذ أشكالاً عدة، فقد تكون من الأكل أو الشراب، أو قد تكون ثياباً أو قماشاً، كما أنها تكون قصيدة تنم عن مشاعر ناظمها.

وقد عبر الشعراء عن تأثير الهدايا في الناس، ودورها في التواصل، وزرع الود في القلوب، كما يبين ذلك الشاعر دعبل الخزاعي، فيقول:

هدايا النَّاس بعضِهمُ لبعضٍ تُولِّدُ في قلوبِهمُ الوصلا
وتزرعُ في الضمير هوىً ووداً وتكسوهُمْ إذا حضروُا جَمَالاً[2]

والهدية تكون على قدر مقدمها، والغاية منها أن يقبلها المقدم إليه، كما أشار إلى ذلك الشاعر أبو الفتح البستاني، فيقول[3]:

هديَّةُ العبدِ على قدْرِهِ والقَصْدُ أن يقبلها السيّدُ
أما ترى العينَ على فضلِها تقبلُ ما يهدى لها المِرودُ[4]

ويعد الاحتفال أحد مظاهر الزواج، مما يضمه من مهنئين بهذا العقد الحميد، لما فيه جمع للشمل، والمؤانسة، متمنين للعروسين طيب المعشر، وحسن النبات، بنجباء الأولاد، كما يقدم في

---

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، مجلد/٤، ص (١٧٠).
(2) دعبل الخزاعي، الديوان، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م، ص (٢٦٠).
(3) أبو الفتح البستاني، الديوان، تحقيق: دريه الخطيب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص (٢٣٧).
(4) المرود: أداة تستخدم لتكحيل العين.

الاحتفال بالزواج الأكل والشراب، والهدايا، وقد يصل الأمر إلى درجة المغالاة والإسراف، كما نجد عند بعض خلفاء العصر العباسي، حيث يذكر الطبري خبر زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل[١]، فيمنح المأمون الحسن بن سهل الآلاف من الأموال، بمناسبة الزواج، بالإضافة إلى إقليم، ولتتعدى مظاهر الإسراف إلى أن ينثر الحسن بن سهل الأموال على القواد، والكتاب، وبنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جوار ودواب وغير ذلك، فكانت البندقية إن وقعت في يد رجل، ملك ما بها[٢].

كما يذكر الطبري بأن المأمون سأل حمدونية بنت غضيض عن مقدار ما أنفقت على هذا الزواج (زواج المأمون من بوران) فقالت: "أنفقت خمسة وعشرين ألف ألف"، فقالت أم جعفر "ما صنعت شيئاً، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم"[٣].

وقد بادر الشعراء إلى تصوير زواج المأمون من بوران، مشيدين بهذا النسب، كما قام إبراهيم بن العباس الصولي بتهنئة أصهاره الأكرمين، الذين جدعوا أنوف الأعداء، وأجبروهم على الانقياد والرضوخ لمشيئتهم، فالمأمون جمع بين الشملين، من آل هاشم وآل سهل ليكون خير نسيب لأعرق نسب، فيقول[٤]:

لِيَهْنِكَ أصْهَارٌ أذلّتْ بِعزِّهَا خُدُوداً وَجَدّعْنَ الأُنُوفَ الرَّواغِمَا[٥]

جَمعْتَ بين الشَّمْلين من آلِ هاشمٍ وحُزْتَ به للأكْرمينَ المكارِمَا

في حين يرى أبو هلال العسكري في تهنئة بالإملاك، مبلغ الآمال في سائر ما تهواه، مقدماً صورة يملؤها الفرح بهذا الزواج، معبراً عن ذلك بألفاظ تتناسب وحالة الفرح بهذه المناسبة، من التبر، والجوهر، والعقد المفصل، والعطر، وذلك بدنو المحبوبة إليه، وتيسر ما كان صعباً، فيقول:

---

(1) بوران بنت الحسن بن سهل، اسمها خديجة، تزوجها المأمون لمكان ابيها منه، ت(٢٧١)،وفيات الأعيان،مجلد/١،ص(٢٩٠).

(2) الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/٥، ص (١٧١).

(3) المصدر السابق نفسه، ص (١٧١).

(4) إبراهيم بن العباس الصولي، الديوان، أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (٢٢٦).

(5) الرواغم: المكره، ذل عن كره، مادة (رغم).

تُجَلّـــيّ لـــك الأمـــلاكُ عمّـــا تُحبُّـــه فإنـــك قـــد فَـــصّلتَ بـــالتِّبر جـــوهَراً
فـــصيَّرته للـــدهر عقـــداً مُفـــصّلاً وطيرتُـــه فـــي الأفـــق نـــشراً معطـــرّاً
هـــو الـــيُمْنُ لـــم يعُـــدِمْكَ محبوبـــةً دنَـــتْ ومكروهـــةً شـــطّتْ وصَـــعباً تيـــسّرا[1]

ولم تقتصر التهنئة بالزواج، بتهنئة الزوج بزوجه فقط، وإنما تهنئ الزوج أيضاً بزوجهـا، لنرى ابن الرومي يهنئ المعتضد بالله بزفافه، ويهنئ عروسه بما ظفرت به من سيد عظيم القدر، فوق المطالب، يبهج ناظرها، مما جعلها أهلاً لهذا الزوج لما تمتاز به من صفات حـسنة، فهـي صاحبة الضمير النبيل، واليد الكريمة، وشمس الضحى تزف إلى بدر الدجى، ليتكشف الظلم بهذا الزواج، فيقول:

يـــا ســـيِّد العـــربِ الـــذي قُـــدِرْت لـــه بـــاليُمنِ والبركـــاتِ ســـيّدةُ العجَـــمْ
أســـعد بهـــا كـــسعودِها بـــك إنهـــا ظفـــرتْ بمـــا فـــوق المطالـــبِ والهمَـــمْ
ظفـــرتْ بمـــالئ ناظريهـــا بهجـــةً وضـــميرها نُـــبلاً وكفَّيْهـــا كـــرمْ
شمسُ الـضُّحى زُفَّـتْ إلـى بـدرِ الـدُّجى فتكـشَّفتْ بهمـا عـن الـدّنيا الظُّلـمْ[2]

وفي موقع آخر، يقدم ابن الرومي تهنئة بزواج، فيقدم لوحة متكاملة الفرحة تظهر معالمها بطلوع البدر، والزهرة،و ابتهاج الدنيا، حتى الملك غدا نظراً بهذه المناسبة، ثم يـصور زفـاف العروسين الذي به تبدلت الأمور من عسرها إلى يسرها، والدعاء لهما بالتوفيق، وإتمام عليهمـا النعمة والمسرة، وزادهما بأولادهما، كما يشير الشاعر هنا كغيره مـن الـشعراء إلـى ظـاهرة موجودة في كل زمان، وهم الحساد الذين يزدادون حسرة بهذا الزواج، فيقول[3]:

قـــد طلـــع البـــدرُ مـــع الزُّهـــرهْ فـــي دولـــة مونقـــةِ الزّهـــرهْ
فأمـــست الـــدنيا لهـــا بهجـــةً وأصـــبح الملـــك لـــه نـــضرهْ
ســـيدة زُفـــت إلـــى ســـيدٍ بـــدلنا اليـــسرَ مـــن العـــسرهْ

(1) أبو هلال العسكري، الديوان، تحقيق: جورج قنازع، المطبعة التعاونية، دمـشق، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص (١١٤).
(2) ابن الرومي، الديوان، ج/٦، ص (١٢).
(3) المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ١٣٤-١٣٥.

ألّـــــف بـــــالتوفيق شـــــملاهما مـــن نعمـــةٍ تمـــت، وفـــي حبـــرهْ[1]

لا أعقبـــا مـــن فرحـــةٍ تَرْحـــة كـــلا ولا مـــن حَبـــره عَبـــرهْ

ولا أرانـــــا الله يوميهمـــــا لكـــن أرانـــا منهمـــا الكثـــرهْ

عمَّـــــرهُ الله وأبقـــــى لـــــه رُكنيـــه: مـــن عـــز ومـــن قـــدرهْ

وسَـــــر مولانـــــا بمولاتـــــه وزاد حـــــــسادهما حـــــــسرهْ

تبدو الألفاظ والمعاني التي تقال في التهنئة بالزواج متشابهة في كثير من النصوص التـي قدمت بهذه المناسبة، تحمل معاني ودلالات توشك أن تكون واحدة، وكأنّها أفكار تنبع من مصدر واحد، وهذا ينطبق على التهاني بالزواج شعراً ونثراً، ومن المعاني التي صيغت نثراً، مـا كتبـه رجل إلى صديق يهنئه بالدخول على أهله: "قد بلغني ما هيّا الله لك في اجتماع الـشمل، بـضم الأهل، فشركتك في النعمة، وكنت أسوتك في السرور، وشاهدتك بقلبي، ومثلت مـا أنـت فيـه لعيني، فحللت بذلك محل المعاين للحال، وزينتها فهنيئاً، هنأك الله ما قسم لك، وبالرفاء والبنـين، وعلى طول التعمير والسنين"[2].

وبهذه المناسبة تجيش صدور الشعراء بالعواطف والمشاعر والأحاسـيس التـي يحملهـا الوجدان المشترك بين المتآلفين، وما تحملها هذه المعاني من البهجة والسعادة في تهنئاتهم، فيقول ابن الرقاع[3] لمتزوج، مبيناً مدى السعادة في جمع الشمل، حتى أنه يجعل زواجهما ليس له شبيه من قبل، سواء بما شاهده، أو بما سمع عنه، فيقول:

قمـــرُ الـــسماءِ وشمـــسُها اجتمعـــا بالـــسّعد مـــا غابـــا ومـــا طلَعَـــا

مـــــا وارتِ الأســـــتارُ مثلهمـــــا فـــيمن رأينـــاه ومـــن سُـــمِعَا

دام الـــسُّرور لـــه بهـــا ولهـــا وتهنـــأا طـــول الحيـــاة معـــا[4]

---

(1) حبره: مسره ونعمة، مادة (حبر).

(2) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد ٣، ص ٦٩.

(3) ابن الرقاع: هو عدي بن زيد بن الرقاع، كان شاعراً مقدماً عند بني أمية، مداحاً لهم، وله بنت شاعرة يقـال لها سلمى، جعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، كان منزله بدمشق، وهـو مـن حاضـرة الشعراء، لا من باديتهم، ت (١٠٢هـ)، الأغاني، مجلد/ ٩، ص ٣٠٠.

(4) عدي بن الرقاع العاملي، الديوان، تحقيق: الشريف عبد الله الحسيني البركـاني، مكتبـة الفيـصلية، مكـة المكرمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص ٦٠.

يشيع في التهاني المقدمة بالزواج معاني البهجة والسرور، إذ يظهر الشعراء ما أصاب العروسين من النعمة، مصورين أثر حصول هذه النعمة في أنفسهم ليغدو الزواج مناسبة لإظهار الحب الذي غمر كلاًمن الزوجين، لنجد صوراً وألواناً لهذا الوئام ، كما تنم التهاني بالزواج إلى التآلف في أوساط المجتمع العباسي، حيث الاحتفالات الكبيرة، والهدايا التي تقدم بهذه المناسبة.

ثانياً: التهنئة بالإنجاب:

المواليد هم ثمار الزواج ونتاجه، وبهم تكتمل فرحة الزواج وتستمر البشرية، فهم زينة الدنيا، ومبعث السرور والبهجة، وقد أكثر شعراء العصر العباسي من التهنئة بالمواليد، سواء كان المهنّأ من أبناء الخلفاء، أو الأمراء، أو من أبناء الأصدقاء، فقد كان الشاعر حينما يسمع بولادة ابن لأحدهم يقدم له قصيدة يهنئه بقدوم الفارس الجديد، أو يهنئه بريحانة القلوب، مبيناً أثر مقدمه في النفوس، وما يبعثه من بهجة لأهله ومحبيه، وطعنة لحساده ومبغضيه، فيقول الشريف الرضي مهنئاً أخاه بمولود ذكر، هذا المولود الذي يستمد فخره من أبيه، مظهراً محاسنه في جمال وجهه ومبسمه، مبيناً أثر مقدمه على مبغضيه الذين رماهم الدهر بسهم أصاب قلوبهم، فيقول[1]:

لِيَهْنِكَ مولودٌ يُولِّدُ فَخْرَهُ ... أبٌ، بِشْرُهُ للسّائلين ذَرائِعُ

وليدٌ لو أنّ الليّلَ رُدّي بوجْهِهِ ... لمَا جَاورَتْهُ بالجُنُوبِ المضَاجِعُ

ومُبْتَسِمٌ يَرْتَجُّ في ماءِ حُسنِهِ ... له من عُيونِ الناظرين فواقِعُ

رمى الدّهرُ منه كلَّ قلبٍ من العِدى ... بسهمٍ نَضَا أحقادَهم وهو وادِعُ[2]

المولود من أفضل النعم موقعاً على النفوس، فهم الخلفاء على الأهل، والسند والذخر، وبهم يكون جميل الذكر والثناء، ويقدم الشعراء في تهنئتهم بالمولود الجديد مدحاً لوالده، والدعاء له بطول الأجل، حتى يشهد بلوغ نجله، كما صورها إسحاق بن إبراهيم الموصلي مهنئاً الفضل بن الربيع[3] بابن له، الذي سيحمل مجد والده، ويفدى كما والده، فهو يحمل شمائله المحمودة، فيقول:

---

(1) الشريف الرضي، الديوان ، ج١،ص ٦٢١.

(2) نضا: نزعه وأزاله.

مـــــــدَّ لـــــــك اللهُ البقـــــــاءَ مـــــــداً حتـــــى تـــــرى نجلـــــك هـــــذا جَـــــدَّاً

مـــــــــؤزراً بمجـــــــــده مُـــــــــرَدَّى ثـــــــم يُفـــــــدَّى مثلمـــــــا تُفـــــــدَّى

كأنّـــــــــه أنـــــــــت إذا تبـــــــــدَّى شـــــــــمائلاً محمـــــــــودةً وقـــــــــدَّا[1]

وتمتد البهجة بقدوم المولود الجديد إلى الأرض من حوله، وإلـى المنـابر ويمتـد خيـال الشعراء ليروه في حالته التي سيكون عليها، ليصبح قائداً يحيط به الجند، وتخفق فوقه الرايات ، كما يراه أبو العتاهية الذي يهنئ الهادي بولادة مولود له، فيقول:

فاكتَـــــستِ الأرضُ بـــــه بهجـــــةً، واستبـــــشرَ المُلْـــــكُ بمِـــــيلادِهِ

وابتـــــسمَ المِنْبـــــرُ عـــــن فَرْحـــــةٍ، عَلَـــــتْ بهـــــا دُرْوَةُ أعْـــــوَادِهِ

كـــــأنّني بَعْـــــدَ قليـــــلٍ بـــــه، بـــــين مَوَاليـــــهِ وقُـــــوّادِهِ

فـــــي مَحْفَـــــلٍ تَخْفِـــــقُ رايـاتُـــــهُ، قـــــد طبّـــــقَ الأرضَ بأجْنـــــادِهِ[2]

وارتبطت قصيدة التهنئة بالحساد الذين يبدو أنهم موجودون في كل زمان ومكان، لذا أكثر الشعراء من الإشارة إليهم، وبيان حالهم، وأثر قدوم المولود على نفسياتهم، ومنهـا قـول أبـي العتاهية في ابن للهادي:[3]

أكثـــرَ موســـى غَـــيظَ حُـــسّادِهِ، وزيّـــــنَ الأرضَ بـــــأوْلادِهِ

وجاءَنـــا مـــن صُـــلبِهِ سَـــيّدٌ، أصْـــيَدُ فـــي تقطيـــعِ أجـــدادِهِ[4]

وكثيراً ما يتحدث الشعراء عن المستقبل الذي ينتظر المولود، وبخاصة إن كان ابناً لخليفة، أو لأمير، أو لقائد، فإنهم يصورون له مستقبلاً عظيماً، كما هو الحال الذي عليه والده، كمـا أن الشعراء يتحدثون عن الأمنيات التي تراودهم، كما تراود أهله، متطلعين إلى تحقيقها فـي هـذا المولود، كما صورها السري الرفاء في تهنئة أبي المعالي بمولوده، وتصويره إياه بأنـه سـيغدو

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، الطبعـة الأولـى، ج ٤، دار الزخـائر للمطبوعات، قم، إيران، ص ٤٠٧.

(2) أبو العتاهية، الديوان، ص ١٣٧.

(3) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٧.

(4) اصيد: متكبر مزهو بنفسه، مادة (صاد).

ناصراً للمجد، وفارساً مغواراً، تتلم سيفه، واعوج رمحه، لكثرة ما يقتل بهما، فيقول السري الرفاء:[١]

تمَلّ فارسَك المذكور في شيمٍ بمثلها الذَّكر والصمصام مذكورُ
وافي ومولُدُه يخبّرنا بأنّه ناصرٌ للمجدِ منصورٌ
فعاش ما نشر الدَّيجور حُلَتَهُ وما انطوى بضياءِ الفجر ديجورُ[٢]
حتى تراه وحدّ السّيفِ في يدِهِ مُثلّم وسنانُ الرّمح مأطورُ[٣]

وتمتد التهنئات بالمواليد منذ قدومهم إلى بلوغهم مستدركين مولدهم، ورعايتهم، حتى يصبحوا عوناً وسنداً، وبخاصة إن كانوا من بيت الحكم، فبلوغهم عندئذ شأن كبير لأهلهم وللملك، فهم امتداد وثبات له، فيقول البحتري في تهنئة للمتوكل ببلوغ ابنه المعتز الذي أدرك الحلم، لتظهر معالم الوقار والسداد عليه، لذلك فإن الملك نفسه أصبح كأنه مولود من جديد، مع بلوغ المعتز، الذي يهنئ بقرب ولاية عهده، فيقول: [٤]

يا كالئ الإسلام في غفلاتِه ومقيم نهجي حَجّه وجهادِهِ[٥]
يَهْنِيكَ في المعتزِّ بُشْرى بَيّنتْ فينا فَضيلة هَدْيِهِ ورشَادِهِ
قد أدْركَ الحِلْمَ الذي أبْدى لنا عن حِلْمِهِ ووَقَارِهِ وسدادِهِ
ومُبارِكٌ مِيلادُ مُلْكِكَ مُخْبِراً بقريبِ عَهْدٍ كان من مِيلادِهِ

ويهنئ أبو فراس الحمداني سيف الدولة بابن له، مقدماً له بشارة تقر بها المكارم، مقدماً إلى أعلى الناس شرفاً، صاحب العلا والمكارم. ليشرك الشاعر نفسه في هذه الأبوة، ذاك أن أبا فراس هو خال المولود، فيقول:

يَهْنِئ"الأميرَ" بِشارةٌ قرَّتْ بها عَيْنُ المكَارِمْ

---

(1) السري الرفاء، الديوان، كرم البستاني، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ١٧٦-١٧٧.

(2) الديجور: الظلمة، مادة (دجر).

(3) مأطور: معطوف ومنحني، مادة (أطر).

(4) البحتري: الديوان، ج/١، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(5) كالئ: حافظ وراع، مادة (كلأ).

أعْلَـــــى الـــــوَرَى شـــــرفاً ومَـــــنْ قـــــد بَـــــشّرُوهُ بخيـــــر قـــــادِمْ
إنّـــــي وإن كنـــــتُ المُـــــشا ركَ فـــــي الأبُـــــوَّةِ والمُـــــساهِمْ
لأقُـــــولُ قـــــولاً لا يُـــــرَدُّ ولا يُـــــرى فيـــــهِ لائـــــمْ:
لـــــ"أبـــــي المعـــــالي" فـــــي العُـــــلا و "أبـــــي المكـــــارم" فـــــي المكَـــــارمْ[1]

وهذا أبو علي البصير يظهر سعادته وأحاسيسه تجاه المولود الجديد في تهنئة لأحدهم بمولود، لتبهجه تلك البشارة التي زفت إليه، مقدماً الدعاء لوالده بطول العمر، حتى يرى بلوغ نجله وقد عمّر ، فيقول:

أتيتـــــك جـــــذلان مستبـــــشراً لبـــــشراك لمـــــا أتـــــاني الخبـــــر
أتـــــاني البـــــشيرُ بـــــأن قـــــد رُزقـــــتَ غلامـــــاً فـــــأبهجني مـــــا ذكَـــــرْ
فعمَّـــــرك اللهُ حتـــــى تـــــرا ه قـــــد قـــــارب الخَطّـــــو فيـــــه الكِبَـــــرْ[2]

ويكثر الشعراء من امتداح أهل المولود، وكذلك امتداح قبيلته التي أصبح أحد أفرادها، ومنها ما كتبه الصولي إلى ابن الأشعث عقبة بن أهبان يهنئه بمولود، ليثني عليه كل ما هو جميل، مبيناً أثر مقدم ابنه على الخلان، والأعداء، مشيداً بأجداده، وقبيلته الكريمة، فيقول الصولي:

جعلـــــت فـــــداءَك مـــــن ســـــيدٍ حقيـــــق بكُـــــلّ ثنـــــاءٍ جميـــــل
حبـــــاكَ الإلـــــهُ بإحـــــسانهِ بغـــــيظِ العـــــدا وســـــرور الخيـــــل
بمولـــــودٍ يمـــــن نمـــــاه الإلـــــ ـــــه ســـــعيدُ الجـــــدودِ كـــــريمُ القبيـــــل[3]

ويقدم الصنوبري تهنئة إلى عبد الله السكري بمولود أغر، كالبدر في تمامه، ليستمد محاسن والده من المجد، والقدر، والجاه، والذكر، فهو نعمة يعجز الشكر عن وصفها، لما لهذا المولود أثر على النفس، فهو في موضع النور من العين، وموضع القلب من الصدر، فيقول[4]:

---

(1) أبو فراس الحمداني، الديوان، سامي الدهان، ج ٢، القسم الثالث، بيروت، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، ص ٣٦٠.
(2) يونس أحمد السامرائي،شعراء عباسيون،ج/١،ص(٣٨٣).
(3) الصولي، أخبار الشعراء، والمسمى كتاب الأوراق، ، ص ٢٤٧.
(4) الصنوبري، الديوان، ص ١٦.

هُنِّيتَـــــهُ فـــــي ســـــعةِ العُمْـــــرِ أغَـــــرّ مَعْـــــزُوّاً إلـــــى الغُـــــرِّ
هـــــلالَ مَجْـــــدٍ عـــــن قليـــــل يُـــــرَى فـــــي أفقِـــــهِ كـــــالقمرِ البـــــدرِ
منتظـــــراً فيـــــه الـــــذي لـــــم يَـــــزَلْ مُنتظـــــراً فيـــــك مـــــن الفخْـــــرِ
وبالغـــــاً فـــــي صِـــــغَرِ الـــــسنِّ مـــــا بُلِّغْتَـــــهُ فـــــي كَبـــــرِ القـــــدرِ
أُعطيـــــتَ إذ أعطيتَـــــهُ نعمـــــة تَـــــضيقُ عنهـــــا ســـــعةُ الـــــشكرِ
مُقابَـــــلٌ بـــــين الـــــسَّدَى والنـــــدى مُرَشّـــــحٌ للجـــــاهِ والـــــذكرِ[1]
فـــــي موضـــــعِ النـــــورِ فـــــي العـــــينِ أو فـــــي موضـــــعِ القلـــــبِ مـــــن الـــــصدرِ

وفي موقع آخر، يهنئ الصنوبري ابن السبيعي بمولود فيتباهى بـــه أمـــام بـــدو قحطـــان ومضر، ليصبح مقدمه كالغيث المحمل بالخير، والندى في رقته، فبه تقر عين والده، فهو النعمـــة الفضلى له في حياته، وبه الأمان من خطوب الدهر، فيقول[2]:

تَبْهَـــى سَـــبيْعُ بمولـــودٍ يتيـــهُ بـــه مَنْ كان مـــن بـــدو قحطـــانٍ ومـــن مُـــضَرَهْ
علامـــةُ الـــيُمْنِ فيـــه غيـــرُ مُـــشْكلةٍ كالغيـــثِ مَنْظَـــرُهُ يُنْبيـــكَ عـــن خَبَـــرِهْ
قـــرَرْتَ عينـــاً أبـــا العبَّـــاس وابتـــسمتْ عن عُمركَ النَّعمـــةُ الطُّـــولى وعـــن عُمُـــرهْ
وســـالمْتكَ خُطـــوبُ الـــدَّهْرِ فيـــه ولا أجيفَ دونـــك بـــابُ الأمـــنِ مِـــنْ غيـــرهْ[3]

يبدو أن كثيراً من المعاني والدلالات التي تحملها التهاني بالمواليد، تتقارب إلى حد كبيـــر بين الشعراء، من حيث تركيزهم على السعادة في مقدمه، وأثره في النفوس المحبة إليه، وزيـــادة غيض الحساد والمبغضين. وفي كيفية استقبال هذا الفارس الجديد، يقول أبو هلال العسكري فـــي تهنئة بمولود، مبيناً أثر الخير في مقدمه واستقباله، مصوراً جماله وبهاؤه، فيغدو كشمس النهار، وبدر في ظلمة الليل، كما يشير الشاعر إلى ناحية مهمة، وهي سلامة المولود من كـــل عيـــب، حتى لا يكون للحساد مجال للطعن، أو الشماتة، فيقول:

فاســـتقبل الخيـــرَ مـــن نجيـــبٍ عمّـــا يَعيـــبُ الـــوَرى نزيـــهِ

(1) السدى: الشهد يسديه النحل.
(2) الصنوبري، الديوان، ص ١٥-١٦.
(3) أجاف الباب: أغلقه، مادة (جفأ).

شـــــمسُ نهـــــارٍ وبـــــدرُ ليـــــلٍ يَمْلـــــكُ أبـــــصارَ ناظريـــــهِ
يملؤهـــــا بهجـــــة إذا مـــــا كـــــشَّفَ عـــــن وجهـــــهِ الوجيـــــهِ
رُزِقتـــــهُ كـــــاملاً ســـــويّاً تكثـــــر عِـــــلاّتُ عائبيـــــهِ[1]

ويظهر الشاعر عبد الرحمن العطوي مدى الفرحة التي أصابته بقدوم مولود لصديقه علي ابن القاسم، ليأتي مهنئاً، جذلان، بهذه البشارة التي سر بها المحبـون، وسـاء بهـا الحاسـدون، فيقول:

أتيتـــــك جـــــذلان مستبـــــشراً ببـــــشركَ لمـــــا أتـــــاني الخبـــــر
أتـــــاني البـــــشيرُ فكـــــم ســـــاءَ مـــــا أتـــــاني بـــــه مـــــن أنـــــاسٍ وســـــرّ
أتـــــاني يـــــذكران أن قـــــد رُزقـــــت غلامـــــاً فـــــأبهجني مـــــا ذكَـــــر[2]

ومن حسن الطالع، أن يكون المولود ذكراً، فقد عرف عن العرب محبتهم للمواليد الذكور، لما يرونه فيهم من سند ونصرة لهم، حيث بهم يقوىالعضد، فهم نصرة للأهل والعشيرة، ومهابة للأعداء، والمبغضين، من هنا كان المولود ينتظر حتى يبلغ أشده، فتقر العين به، وتصفو النفس، وتزداد الأعداد، وتقوى به العشيرة في عزتها ومنعتها، فيقول أبو هلال العسكري[3].

قـــد زادَ فـــي عـــددِ الكـــرام كـــريمُ محـــضٌ صـــريحٌ فـــي الكـــرام ضَـــميمُ[4]
عـــالي المحلّـــةِ لا يـــزال كأنّـــه للعـــزِّ قـــرنٌ والـــسِّماك نَـــديمُ
فأبـــشر فقـــد وافـــاك يـــومُ رُزقتـــه حـــظٌ بتخليـــد الـــسرور زعـــيمُ
فـــرعٌ تكفّـــلَ دهـــرُهُ بنمائـــه حتـــى يكـــرَّ الـــدهرُ وهـــو أروم[5]
إنّ الهـــلالَ يـــصيرُ بـــدراً كـــاملاً ويهـــدُّ ســـدَّ الليـــلِ وهـــو بهـــيمُ

---

(1) أبو هلال العسكري، الديوان، تحقيق: جورج قنازع، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص ٢٤٦.

(2) ابن المعتز، طبقات الشعر والشعراء، تحقيق، عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٣٥٩.

(3) أبو هلال العسكري، الديوان، ص ١٩٨.

(4) محض: كل شيء خالص لا يشوبه شيء، مادة (محض)، ضميم، الشجاج وصاحب الخلق، مادة (ضمضم).

(5) أروم: ملتئم، مادة (رأم).

تفخر العرب بأنسابها كما تفخر بكثرة عددها، وبخاصة إن للعدد والقوة دوراً مهماً في الحياة العربية آنذاك، فتغدو القبيلة الكبيرة مهابة الجانب، محمية الحصون، تهابها القبائل الأخرى، لهذا فإن المولود الجديد مبعث فخر وعز لها، فلا بد لهذا المولود أن يصبح فارسا يذود عن قبيلته، ويصون حرمة المنازل والأهل، من هنا كان الشعراء يكثرون من صور الحساد، ليصبح هذا الفارس الجديد محل بغضهم وكدرهم.

وتظهر معالم فرحة الأهل بمواليدهم منذ قدومهم إلى ختانهم وفطانهم، وحتى بلوغهم كما ذكرنا في تهنئة البحتري للمتوكل ببلوغ ابنه المعتز، وكانت هذه الفرحة تترجم أحياناً إلى أفعال، تبين مدى سعادتهم بهم، ومن ذلك ما قام به المتوكل من احتفال بمناسبة (ختان) ابنه المعتز، فقد أمر وزيره الفتح بن خاقان أن يلتمس في خزائن الفرش بساطاً لإيواء قصر البركور، الذي أقام به الاحتفال، وكان طول البساط مائة ذراع، وعرضه خمسين، وهو بساط مذهب مبطن، يقال: إن التجار قوموه بعشرة آلاف دينار، ووضع في الإيوان، ووضع للمتوكل في صدره سرير، مد بين يديه أربعة آلاف مرفع (كرسي)، مذهبة، مرصعة بالجواهر، وعليها تماثيل العنبر، والند والكافور[1].

ولم يكتف بهذا فقد مُدّت الموائد، وأحضر الأمراء والقواد، والندماء، فأجلسوا على مراتبهم، وجيء بأوعية مملوءة دراهم ودنانير نصفين، ووزع الغلمان الشراب، ودعوا كل من يشرب إلى أن يأخذ ثلاث حفنات أو ما حملت يداه من ذلك المال، وأعتق المتوكل ألف رقبة، ونثر المتوكل على الجواري، وخدم الدار والحاشية عشرين مليون درهم، كما نثرت (أم المعتز) مليون درهم على المزين، ومن كانوا في جانبه من الغلمان[2]، فهذا الترف الكبير، والإسراف، والمبالغة في الأمر، احتفاء بختان ابن المتوكل (المعتز).

ويكبر الأطفال ويصلون إلى سن الفطام، هذه المناسبة التي يذكر فيها سلامة الطفل، وصحته، ومنها ما كتب إلى صديق، يهنئه بفطام مولود له، فيقول بعد الدعاء: "وكل ما نقل الله الفتى وبلغه من أحوال البلوغ، ورقاه فيه درجات النمو، فنعمة من الله تلزم الشكر، وحق يجب

(1) الشابشتي، أبو حسن علي بن محمد، الديارات، كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م، ص (١٥٠).
(2) الشابشتي،الديارات، ص (١٥٠).

قضاؤه بالتهنئة، وكتب إلي وكيلي المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفطام، وصلاح جسمه عند الطعام..."[1].

ويبين الصاحب بن عباد، لمّا فطم عباد، ترسخ فيه المكارم، واستمرارها، وإن كان قد فطم عن الرضاع، فإنه لم يفطم عن المكارم، فيقول:

فُطِمْتَ أيا عبّادُ يا ابنَ الفواطمِ فقال لكَ الساداتُ من آل هاشمِ:
لئنْ فطموه عن رضاع لِبَانهِ فما فطمُوهُ عن رضاع المكارم[2]

ولقد تعددت تهنئة الشعراء إلى جميع مراحل حياتهم التي مروا بها، فهنأوا في ختانهم، وفطامهم، وبلوغهم، مظهرين حالة المولود وفرحة أهله به، معبرين عن هذه الفرحة في كل مرحلة يمر بها المولود، بمعاني وأفكار تتناسب مع حالة السعادة التي تعتري ذويهم.

ولم تقتصر التهنئة بالإنجاب على المواليد الذكور بل تعدت إلى المواليد (الإناث)، ولكن بنسبة قليلة مقارنة مع التهاني التي قدمت بالمواليد الذكور، ولعلها نظرة قديمة ترسخت في نفوس الكثيرين في هذا العصر وغيره من العصور.

ومن أجمل ما قيل في التهنئة بالبنات، ما ورد خبره في كثير من كتب الأدب، مبيناً قدومها، ومحاسنها، ومكانتها، فقيل: "أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون:

فلو كانت النساءُ كمثل هذي لفضلتْ النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ

فالدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها، والنار مؤنثة، والذكور يعبدونها، والأرض مؤنثة، ومنها خلقت البرية، وفيها كثرة الذرية، والسماء مؤنثة، وقد حليت بالكواكب، وزينت بالنجوم الثواقب،

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد/٣، ص (١٧٠).

(2) الصاحب بن عباد، الديوان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لنبان، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص (٢٨٠).

والنفس مؤنثة، وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان، والحياة مؤنثة، ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عرف الأنام، والجنة مؤنثة، وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون..." [1].

يبدو من خلال ما تقدم وكأنها حجج وبراهين، تدل على المكانة التي تحتلها الإناث، ولعل ورود الصفات، وكثرة الاستشهاد بالأمور المؤنثة التي نحتاجها، ولا نستطيع الاستغناء عنها، تنبع من الفكرة القديمة، وهي النظرة التي توجه للمولودة، مع المعرفة بعدم الرغبة بولادتهن بداية، وهي نظرة، وإن كان فيها جاهلية بعيدة عن روح الإسلام، الذي ساد هذا العصر، إلا أنها تظل من القضايا التي تعمقت في نفوس الكثيرين، وبقيت ثابتة عندهم.

حاول الشعراء من خلال التهاني التي قدموها بالمولودات الإناث، تقريبهن من المواليد الذكور، وعدم إنكار مكانتهن كما يشير إلى ذلك الصاحب بن عباد، فيقول:

إيّاكَ أن تُنْكِرَ الإناثَ فكمْ أنثى غَدَتْ في فَخارِها ذَكَرا[2]*

وهذا الشريف الرضي يهنئ أخاه بولادة ابنة له، هذه الابنة التي تنتمي إلى سلالة كريمة العرق، راسماً صوراً لمقدمها، وحسنها، لتغدو كالأهلة، داعياً لوالدها أن يحيا بها، فيقول:

بمولدِ غرّاء أعْطيْتَها بُدُوَّ الأهلةِ بعدَ السِّرار
أغارتْ على الحُسن أسْبَابُها فأسبابُهُ عندَهَا في إسَار
ولا عَجَبٌ أن ترى مِثْلَها وزنْدُك في كَرَمِ العِرْقِ وارِي
نثرنَ عليها سوادَ القُلُوبِ وكان الهَنَا في خِلال النِّثار
هَنَّاكَ بها اللهُ ما غَرّدتْ صُدُورُ القَنَا في أعَالي نِزَار
وأحْيَا بها لكَ مَيْتَ العُلى وأرْدَى بها كُلَّ عابِ وعَار
وذلّتَ عَمَائِمُ قومٍ بها كما أنّها شرفٌ للخِمَار[3]

---

(1) الحصري، زهر الآداب، زكي مبارك، الطبعة الرابعة، ج/٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص (٤٠٣)، وانظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد قميحة، ج/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٢٩٠)، وانظر الثعالبي، اللطائف والظرائف، الطبعة الأولى، دار المناهل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص (١٨٠).

(2) الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، مجلد/ ٢، ص (٨٥).

* أخل به ديوان الصاحب بن عباد.

(3) الشريف الرضي، الديوان، ج/١، ص (٤٩٨).

ومن أجمل صور المولودة أن تأتي برفقة أخ لها، فتكتمل الفرحة بهذه النعمة الوافرة وتستشرق بهما صدور الأسرة، ومن التهنئة بتوءمين، قول أحدهم واصفاً إياهما بالشمس والقمر، فيقول:

وخَصَّكَ ربُّ العرشِ منها بتَوْءَمٍ ... ومن ظُلُماتِ البحرِ تُستخرجُ الدُّرَرْ

وأمركَ أضْحى وارثاً عِلْمَ جابرٍ ... فأعطاكَ من ألقابهِ الشمسَ والقمرْ[1]

غدت التهاني بالمواليد في العصر العباسي ذات شأن وأهمية، حيث دأب الشعراء على تقديم أجمل الصور بمقدمهم، وإن كانت التهاني التي قدمت بقدوم المواليد الذكور لها نصيب الأسد، من تلك التي كانت في قدوم الإناث، حيث ركزوا على بيان أثر مقدمهم في نفوس الأهل والخلان، وأشاروا إلى ظاهرة مهمة في تلك الأشعار التي قدموها، وهي بيان أثر قدوم المواليد على الحساد والمبغضين.

فشعر التهاني الذي قدمه الشعراء بالمواليد كان وسيلة لمدح آبائهم وأجدادهم، وبيان محاسنهم وصفاتهم الحميدة، والنظرة إلى المواليد بأنهم سيكونون أهلاً لهذه المحاسن في المستقبل، كما أنهم الأمل المرجّو في تحقيق ما لم يستطع الأهل تحقيقه، ومما يمكن الإشارة إليه هنا أن الشعراء لم يكتفوا بالتهنئة بقدوم المواليد فقط، وإنما تعدوا ذلك إلى التهنئة بالختان والفطام والبلوغ.

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، شرح يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص (٦٣).

التهنئة بالشفاء من المرض:

تعتبر التهنئة بمناسبة الشفاء من المرض، نمط من أنماط الصلات المتبادلة بين الناس، حيث تختص بالسؤال عن حال المريض، والدعاء له بالشفاء العاجل، كما يبين الشعر حالة المريض، وما كان عليه من الآلام والأوجاع، ويلقي هذا النوع من الأشعار على جانب من جوانب الحياة الاجتماعية السائدة في العصر العباسي فهو يعبر عن مظهر من المظاهر التي كان المجتمع يعيشها، كما نص الحديث الشريف عليها، حيث ورد في أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم أن عيادة المريض من حق المسلم على المسلم، وكما أن المتحابين يتبادلون الزيارة في حال الصحة، كانوا في الوقت نفسه يعودون بعضهم إذا طرأت عليهم الأدواء، وأصابتهم العلل على اختلافها، والحق أن كثيراً من هذه العلل كانت تفتك في عضد المريض وتقعده الفراش، فيجتمع أصحابه من حوله يستنهضونه تارة، ويسرن عنه أخرى[١].

ومن آداب عيادة المريض، ألا يطيل المكوث عنده، ومما جاء في هذا قولهم: إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه، فيحوجوه إلى رد السلام ويتعبوه، فإن علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا[٢].

ويظهر في التهاني التي قدمت بالشفاء من المرض، بيان أثر الدواء على المريض، والأجر في صبره على الألم، حيث يبين ذلك ابن المعتز في رسالة كتبها إلى صديق له اعتل: "أذن الله شفاءك، وتلقى داءك بدوائك، ومسحك بيد العافية، ووجه إليك وافد السلامة، وجعل علتك ماحية لذنوبك، ومضا عفة لثوابك"[٣]، ومنها ما يقدمه الثعالبي في تهنئة خوارزمشاه بالشفاء، موضحاً أثر الدواء الذي يشد من عزمه، فيقول[٤]:

يا سيداً حاز طبعُهُ الشَّرفا ... ولم يدَعَ منهُ للورى طرفا

لما أخَذْتَ الدواءَ فالطالعُ السـ ... ـعْدُ على العزم منكَ فقد وقفَا

---

(1) أنظر، محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص (٢٨١).

(2) الأبشيهي، المستظرق في كل فن مستظرق، شرح مفيد محمد قميحة، ص (٥٦١).

(3) أبو بكر الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، ج. هيورت، د.ن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص (٢٩٠).

(4) الثعالبي، الديوان، تحقيق: محمود عبد الله الجادر، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ص (٨٧-٨٨).

جلـــوت ســـيفَ العُـــــلا وصـــفيت تبـــــ ـــــرَ المجـــدِ والعـــيشِ مثـــل ذلـــك صَـــفَا
لا زلـــتَ تحـــسو الـــسرورَ فـــي مهـــلٍ وتـــــنفضُ الهـــــمَّ عنـــــك والـــــدنفا[1]

وهذا المتوكل يمرض، ثم يتعافى، ليدخل الناس يهنئونه بالإبلال مـن مرضـه، ويـدخل إبراهيم بن المدبر، مهنئاً بسلامته، مبيناً أهمية سلامته كرمز لنصرة الدين، ورحمـة للعـالمين، وضياء يستنار به، فيقول إبراهيم بن المدبر[2]:

اليـــــومَ عـــــادَ الـــــدِّينُ غَـــــــ ـــــــضَّ العُـــــوْدِ ذا ورقٍ نَـــــضيرِ
يـــــــا رَحْمـــــــةً للعالميـــــــــ نَ، ويـــــــا ضِـــــــياءَ المُـــــــستنيرِ
يـــــــا حُجَّـــــــةَ اللهِ التـــــــي ظَهَـــــرتْ لـــــهُ بهُـــــدى ونُـــــورِ[3]

ومن الأمور التي يظهرها الشعراء في تهنئتهم من المرض، بيان أثر سـلامة ممـدوحيهم على كل ما يحيط بهم، كما صورها المتنبي في تهنئة لسيف الدولة بسلامته بعد أن عـوفي مـن مرض، فيقول[4]:

المجْـــدُ عُـــوفي إذا عُوفيـــتَ والكَـــرَمُ وزالَ عنـــــك إلـــــى أعـــــدائِك الألَـــــمُ
صَـــحّتْ بـــصحّتِك الغـــاراتُ وابتهجـــتْ بهـــا المكـــارمُ وانهلّـــتْ بهـــا الـــدِّيمُ[5]
ورَاجـــعَ الـــشمسُ نـــورٌ كـــان فارقَهـــا كأنّمـــا فَقْـــدُهُ فـــي جِـــسمها سَـــقَمُ
ولاحَ برقُـــكَ لـــي مـــن عارضـــي ملِـــكٍ مـــا يـــسقُطُ الغيـــثُ إلاّ حـــين يبتـــسمُ
تفـــرّد العُـــربُ فـــي الـــدنيا بمَحْتِـــدِهِ وشـــاركَ العُـــرْبُ فـــي إحـــسانهِ العَجَـــمُ
وأخلـــــصَ اللهُ للإســـــلام نُـــــصْرتَهُ وإنْ تقلّـــــبَ فـــــي آلائِـــــهِ الأمَـــــمُ
ومـــا أخُـــصّكَ فـــي بُـــرْءٍ بتهنئـــةٍ إذا سَـــلِمْتَ فكُـــلُّ النـــاس قـــد سَـــلِموا[6]

---

(1) دنف: اشتداد المرض على صاحبه.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر، شاعر وكاتب متقدم، في وجوه كتاب أهل العراق، وذوي الجاه، كان المتوكل يقدمه ويفضله، استوزره المعتمد، توفي ببغداد سنة (٢٦٩هـ)، الأغاني، مجلد/٢٢، ص (١٥١ وما بعدها).

(3) يونس أحمد السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الثانية، ج/١، عـالم الكتـب، بيـروت، لبنـان، ص (٣٨٣).

(4) المتنبي، الديوان، ج/٢، ص (٧٥٤).

(5) الديم: تتابع نزول المطر، مادة (دام).

(6) برء: شفى وتخلص من مرضه، مادة (برى).

فالمتنبي لا يكتفي بتهنئتة بالسلامة من المرض، ذاك أن سلامة سيف الدولة هي سلامة للمجد نفسه، إلا أنه يمثل تلك القيم الجميلة التي كانت قد انقطعت عن بلاد الكفر لعلته، واتصلت واستمرت بعد شفائه، لتصبح كأنها كانت عليلة بعلته، ثم صحت بصحته، وسرت المكارم بعافيته واتصلت الأمطار بعد انحباسها، وعاد نور الشمس، وكل ذلك صح بعد أن شفي سيف الدولة، صاحب العطايا والكرم، فهو ناصر لإسلام، ولا ينصر غيره من الأديان، فبكل هذا يهنئ المتنبي الناس بسلامة سيف الدولة لأن بسلامته يسلم كل الناس.

وفي موقع آخر، يبين المتنبي أثر علة سيف الدولة على كل من الأرض، والناس، وحتى البأس والكرم، وأنها لا تشفى إلا بصحته، فيقول:

إذا اعتلّ سيفُ الدولةِ اعتلّت الأرضُ ومَنْ فوقَها والبأسُ والكرمُ المَحْضُ
وكيف انتفاعي بالرّقادِ وإنّما بعلّتِه يعْتلُّ في الأعْينِ الغُمْضُ
شفاكَ الذي يَشفي بجُودك خَلْقَهُ فإنّك بحرٌ كلُّ بحرٍ لهُ بعضُ[1]

ومن الأمور التي كان لها حضور في شعر التهاني بالشفاء، عملية (الفصد)، والتي هي عبارة عن إخراج الدم الفاسد من الجسم، عن طريق عملية جراحية، لتعمل على تنشيط الجسم، فقد وصف الشعراء هذه العملية التي كانت تجرى لبعض الخلفاء، أو الأمراء أو الأصدقاء، وصفاً دقيقاً، كما أنهم يذكرون المواد المستخدمة فيها، مثل العصائب، والطست، والسكين الحادة، ويبدو أن هذه العملية كانت شائعة في العصر العباسي، يقوم بها شخص متمرس، يختار الوقت المناسب لها، والعضو المناسب من الجسم أيضاً.

ومن الأمور التي رصدها شعر التهنئة، وعمل الشعراء على إظهارها، تقديم الهدايا، ليكون تقديمها وسيلة في توثيق أوصر الصلة والمحبة، لتشيع في العصر العباسي هذه الظاهرة (الهدايا) وبخاصة للذين يقومون بعملية الفصد، حتى يذكر الوشاء كثيراً من الهدايا التي كانت

(1) المتنبي، الديوان، ج ٢، ص (٧٥٣).

تقدم للمفتصد لدرجة أن القيان أصبحن يصطنعن العلة أو الفصد للحصول على الهدايا الكثيرة من عشاقهن من الحلي والملابس والعطور، فقال: [1]

فتفصد لا من حاجةٍ لفصادها ولكن لتكليفِ الهديةِ في الفصدِ
فمن بين خلخالٍ يُصاغ وخاتم ومن دملج يهدى على أثرِ العقدِ[2]

حتى يظهر تقديم الهدية أحياناً في عملية الفصد، كأنها عرف لا بد للقيام به، وفي هذا يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[3] شاكياً حبيبته في عدم إهدائها له بعد عملية فصد قام بها، فيقول:

حبيبي فصَدْتُ العِرقَ من أجلِ علةٍ فلمْ تهْدِ لي فيهِ وصالاً مجدّدا
فأهْدَيتُ نفسي يوم فصْدي بوصْلِها إليك فخُذْها كي تكونَ لكَ الفِدا[4]

وقد امتازت الهدايا التي كانت تقدم للمفصودين بغلائها أحياناً وبخاصة إن كان المفتصد خليفة أو أمير، فقد قيل: لما افتصد المعتصم، وأهديت إليه "شمائل" صينية عقيق، عليها قدح، أسبل عليها منديل وطيب، مكتوب عليه بالعنبر، في كل ربع منه بيت شعر:

خَضَبَ الخليفةُ كفَّهُ من فصدهِ بدم يُحاكي عَبرةَ المُشتاقِ
تاه الفصادُ مما يُقام لِتيههِ إذ صارَ مُفْتَصداً أبو إسحاقِ
وتوافَتِ العيدانُ عند حُضورهِ قُبَّ البطون ذوابلَ الأعناقِ
مَلِكٌ إذا خطر الشّرابُ ببالهِ لبسَ السُّرورُ غلائِلَ الإشراقِ[5]

---

(1) الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق، الموشى أو الظروف والظرفاء، ج٤، دار صادر، بيروت، ص (١٢٠)، وانظر: الأقطرجي، واجدة مجيد عبد الله، المرأة في أدب العصر العباسي، دار الرشيد، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص (٢٦١).

(2) دملج: سوار يحيط بالعضد.

(3) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، ويكنى أبا أحمد، له محل من الأدب، ورواية الشعر وقوله، والعلم باللغة وأيام الناس، توفي في بغداد سنة (٣٠٠هـ)، الأغاني، مجلد/٩، ص (٣٩).

(4) الأصفهاني في محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، مجلد/٢، ص (١١٢).

(5) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص (٢٤٢).

فأثارت هذه الأبيات في نفس المعتصم، وأمر بإحضار إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ليجعل لها لحناً، وغنتها شمائل، فأمر لإسحاق بمال، وللجارية بخمس وصائف، وخمس آلاف دينار[1].

قد يلجأ الشعراء في عملية الفصد، إلى وصف العملية نفسها، وبيان الأدوات المستخدمة فيها، كقول ابن المعتز موضحاً استخدام الأدوات الحديدية في هذه العملية، فيقول:

ليس ما حَلّ بالحديدِ من الكسـ ـر وتثليم حدّه بعجيبِ
عجبي إذا مَدَدْتَ للفصدِ كفّا كيفَ لم ينصدعْ فؤادُ الطبيبِ[2]

فالشاعر يتعجب من فصد الكف التي لم ينصدع قلب الطبيب منها، وليس التعجب من الحديد وتثليمه، فالعجب كيف أن قلب الطبيب لا يحزن ولا يجزع من رؤيته لعملية الفصد، ولا يتأثر بها، كما يقدم الشعراء المديح والثناء على الفصّاد الذين يقومون بهذه العملية، موضحين قدرتهم، وقوة طبعهم، كقول كشاجم يمدح طبيباً :

كأنَّه من نصيحةٍ وتُقى لنفسهِ دونَ غيرهِ فأصِدْ
إنْ جَمْدَ الطّبْعُ حلَّ منهُ فإنْ ذابَ انحِلالاً أعادَهُ جَامِدْ[3]

وقيل أنه لما افتصد المأمون، أهدت إليه (رباح) أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب أبيات توضح أهمية هذه العملية في تخلص الجسم من دائه:

تَعالج من هويتَ بفصدِ عرقٍ فأضحى السُّقْمُ في خِلَع الخضوع
وجاءت تُحفةُ الأحبابِ تسعى بوردٍ فائضٍ فيضَ الدموع[4]

إن زيارة المريض في العصر العباسي، من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، يرافقها في كثير من الأحيان تقديم الهدايا، التي قد تكون من المأكولات، والفواكه، والحلوى، أو

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٢).

(2) ابن المعتز، الديوان، تحقيق: يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م، ص (١٠٢).

(3) كشاجم، الديوان، تحقيق: عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص (٩١).

(4) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص (٢٤٣).

الزهور، أو قد تكون هدية معنوية، كتقديم قصيدة يهنئ صاحبها المريض بشفائه، ويقدم الدعاء له، ومنها ما قدمه أبو بكر الصولي إلى ابن الأشعث وكان قد افتصد، ليقدم له المديح كهدية عالية القيمة فيقول:

سبقت إلى فصدةٍ شافيهْ فأعقبْ في سبقكَ العافيهْ
وبادرْ بركَ أهل الثراءِ فجاءتْ هداياهُم غاديهْ
وراحتَ لنا مدحةٌ لم تزلْ بمثلِكَ أمثالُها عاليهْ
جرى الدمُ من راحةٍ لم تزلْ بأنعمِها سمة جاريهْ
وهذي هديةُ من لم تكنْ دراهمُهُ جمةٌ وافيهْ[1]

وهذا شاعر آخر يجعل من الدعاء أتم هدية يقدمها الصديق إلى صديقه بمناسبة افتصاده، فيقول:

تُؤَنِّق من ثنائِكَ في الهدايا غَداةَ أردتَ فضْلَ الباسِليق
فلم أرَ كالدُّعاءِ أتمَّ نفعاً وأجمل في مكافأة الصديق
وأكثرتُ الدُّعاء وقلتُ: ربِّي يقيك شرور آفاتِ العروق[2]

وهذا ثالث لا يملك ما يقدمه للمريض إلا التوجه إلى الله بالشكر، فيقول:

على طِيْبِ أيَّام التمتُّع بالوردِ فصدتَ فأصبحتَ السَّلامة في الفَصْدِ
ولا زالتَ، لا زالتَ من اللهِ أنْعُمٌ عليك قريرَ العين، مُغتبط الحَسْدِ
لقد رُمْتَ جَهدي طُرفةً وهديّةً إليكَ، فكان الشُّكرُ أكثرَ ما عندي[3]

ويظهر الشعراء في تهنئتهم بالشفاء، ما تحصل جراء هذه العلة من نعمة الأجر، وموهبة الثواب، وهما أشبه بمكافأة نالها المريض كجزاء صبره وتحمله، وذلك في جعل العلة ماحية

(1) الصولي، أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق، جمعه: ج. هيوارث د.ث، د.ت، ص (٢٤٧).
(2) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص (٢٤٥).
(3) المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٥).

للذنوب، ومضاعفة للثواب حيث يقول مروان بن أبي حفصة، وقد مرض عمرو بن مسعدة[1]، وكان قد أبل من مرضه، مبيناً ما حصل عليه من الأجر جزاء لتحمله المرض، فيقول:

صَحَّ الجسمُ يا عمرُو لكَ التَّمحيصُ والأجْرُ
ولله علينا الحَمْدُ والمنّةُ والشُّكرُ
فقد كان شكا شوقاً إليك النهيُّ والأمرُ[2]

ودخل مسلم بن الوليد على عمرو بن مسعدة يحثه على الصبر على العلة، لأن له بذلك فضلاً، فقال:

قالوا "أبو الفضل" محمومٌ فقلتُ لهم: نفسي الفِداءُ له من كُلّ مَحْذورِ
يا ليتَ عِلَّتَه بي غيرَ أنَّ له أجرَ العليلِ وأنّي غيرُ مأجورِ[3]

وفي جزاء الله للمعتل في كربته، يبين إبراهيم بن العباس ذلك في قوله لمحمد بن الزيات، فيقول:

وإذا جَزى اللهُ امرءً بإخائِهِ فجزى أخاً لي مَا جِدا سَمْحَا
نادَيْتُه عن كَرْبةٍ فكأنّما ناديْتُ عن ليلٍ بهِ صُبْحا[4]

وفي بيان أثر مرض العليل على الناس، وبخاصة إن كان من أصحاب السلطة والنفوذ، ما قاله أشجع السلمي، حينما اعتل يحيى بن خالد، ثم صح، فدخل الناس يهنئونه بالعافية، ودخل أشجع مبيناً أن هذه العلة لم تصب المريض وحده، وإنما أصابت أصحاب قلوب محبيه، ليظهر مكانته وجوده، وذلك بأن الموت إذا أخطأه فلا يبالون به بعد ذلك أصاب من، فالمهم أن يسلم يحيى بن خالد دون الناس، فيقول:

لقد قرَعَتَ شَكاةُ أبي عليٍّ قلوبَ معاشرٍ كانت صحاحا

---

(1) عمرو بن مسعدة بن سعد الصولي، كنيته: أبو الفضل، كان من كتّاب المأمون، ومن أصحاب الفضل والبراعة في الشعر، كان بليغاً، وأحد وزراء المأمون.ت(٢١٧)،وفيات الأعيان،مجلد/٣،ص(٤٧٥).

(2) مروان بن أبي حفصة، الديوان، تحقيق: أحمد عدرة، ص (٥٧).

(3) مسلم بن الوليد، الديوان، سامي الدهان، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص (٣٢٣).

(4) إبراهيم بن العباس الصولي، الديوان، أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (١٩٢).

فـــإن يَـــدْفَعُ لنـــا الـــرحمنُ عنـــهُ صـــروفَ الـــدهر والأجـــلَ المُتاحـــا
فقـــد أمـــسى صـــلاحُ أبـــي علـــيٍّ لأهـــلِ الـــدِّين كلِّهـــم صَـــلاحا
إذا مـــا المـــوتُ أخطـــأهُ فلـــسنا نُبـــالي المـــوتَ حيـــثُ غـــدا وراحـــا[1]

كما يظهر الشعراء في هذه المناسبة أهمية الدواء وأثره في شفاء العليل، ومنها قول أشجع السلمي حينما شرب محمد بن منصور الدواء، وإعقاب السلامة في الدواء، مستغرقاً في الأدعيـة له، فيقول:

أصـــحّ اللهُ جـــسمَك ذو العَـــلاءِ وأعقَبـــكَ الـــسلامةَ فـــي الـــدِّواءِ
وأبـــدلكَ الإلـــهُ بـــه صَـــلاحاً وعافيـــةً تُمحِّـــقُ كـــلَّ داءِ
وألبَـــسكَ المليـــكُ رداءَ عُمـــرٍ علـــى الأيـــام ممـــدودَ البقـــاءِ
شـــفاكَ اللهُ طـــاويَ كـــلّ ســـقمٍ فـــإنّ العـــيشَ فـــي بـــشر الـــشفاءِ[2]

إن التهاني بالشفاء مظهر اجتماعي حرص الشعراء على تقديمه في العصر العباسي من خلال الأشعار التي قدموها، موضحين ما كابده العليل من الألم، وما نالـه مـن الأجـر جـراء تصبره وتحمله، ليغدو المرض وكأنه طهر من الذنوب، إذ كان يقال للرجل إذا قام من مرضـه، (لتهنك الطهرة)[3]، وكأن المرض غسله فطهره، والتهاني بالشفاء يعد نمطاً من أنماط الـصلات المتبادلة بين أفراد المجتمع، ليظهر في هذه التهنئات مشاعر المهنئين وخلجاتهم الكامنـة تجـاه العليل، والدعاء له بالشفاء، والعودة إلى ممارسة حياته الطبيعية، كما يشيع في هذه المناسبة تقديم الهدايا التي تعد مظهراً من مظاهر الألفة والمحبة، لتأخذ أشكالاً مختلفـة، فقـد تكـون ماديـة كالمأكولات، والورود، أو معنوية، كتقديم المدح، والدعاء، وشكر الله على السلامة.

التهنئة بالقدم من السفر:

اهتم الأدباء بأدب التهاني – ليحظى القادمون من السفر بنصيب ما أبدعـه الـشعر مـن تصوير حسن مقدمهم، وحميم لقائهم، وحرارة التهنئة بعد معاناة مرارة الفـراق، وألـم البعـد، بسلامة العائد، وحسن مقدمه الذي ابتهج له المحبون، وإظهار أهمية تواجـده ومكانتـه بيـنهم،

(1) أشجع السلمي، الديوان، ص (٢٠١).
(2) المصدر السابق، ص (١٨٥).
(3) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج/٤، ص (٤٠٨).

وبخاصة إن كان من الخلفاء، أو ذوي الشأن والمكانة، لتنهال عليه التهاني كانهيال العارض على الأرض الجرداء.

ولا يبعد في أن تكون التهاني بالقدوم من السفر مقرونة بالدعاء، وشيء من الثناء، وذكر بعض الإنجاز والآمال، وتصوير العائد بأحسن الأحوال، وأيمن الطالع، كما نجد ذلك في تهنئة ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله وقد قدم من بعض أسفاره، فيقول[1]:

قدمتَ قدومَ البدرِ بينَ سُعُودِهِ ... وأمرُك عالٍ صاعدٌ كصعودهِ
لبستَ سناه واعتليتَ اعتلاءه ... ونأمل أن تحظى بمثل خلودهِ
وأقبلت بحراً زاخراً في مُدُوده ... على متنِ بحرٍ زاخرٍ في مددهِ
وأقسمُ بالمُعْليك قدراً ورتبةً ... لجَودُك بالمعروفِ أضعافُ جودهِ
فهنَّاك اللهُ السلامة قادماً ... برغم مُعادي حَظِّكم وحَسُودهِ
فأعرض عنا كلُّ شرٍ بوجهه ... وأقبل وجهُ الخيرِ بعد صدودهِ
فزاد مُصلِّينا بكم في رُكُوعهِ ... وزاد مصلينا بكم في سجودهِ
إليكُم رأى الراجي مَشَدَّ قُتُودِهِ ... وفيكم رأى الساري محطَّ قُتودِهِ[2]
وقد كان تأميلُ النفوسِ مُقيَّداً ... فأطلقْتمُ تأميلها من قيودهِ

فقدوم الممدوح من السفر، كقدوم البدر، وإقباله كإقبال البحر زاخراً بالعطايا والكرم، بل يتعدى جوده إلى أضعاف ما يجود به البحر، ليكون مقدمه طعنة للحاسدين، وطرداً للشرور والمصائب، بهذا الخير الذي أقبل بعد غياب، مما جعل الناس تتزيد في الصلاة والشكر احتفاءً بقدومه فالمرجُوُّ يقصده، والساري يحط ركابه عنده، فهو مصدر لبعث الأمل وإطلاقها من قيودها.

في حين يرى الشاعر الشريف الرضي في أن قدوم ممدوحه بشرت به كل المعاني الجميلة فيقول[3]:

---

(1) ابن الرومي، الديوان، ج/٢، ص (١٩١-١٩٢).
(2) القتود: خشب الرحل "كناية عن الناقة"، مادة (قتد).
(3) الشريف الرضي، الديوان، ج/٢، ص (٤٣٤-٤٣٥).

قـــدِمَ الـــسّرُورُ بقُدمَـــةٍ لـــك بـــشّرَتْ غُـــررَ العُلـــى، وعَـــوَاليَ التّيجَـــانِ[1]

وأتـــى الزّمـــانُ مُهنّئـــاً يَحْـــدُو بـــهِ غُـــلُّ المـــشُوقِ وغُلّـــةُ اللّهْفـــانِ

قـــد كـــان هـــذا الـــدّهرُ يَلحـــظُ جـــانبي عـــن طَـــرْفِ ليـــثٍ ســـاغبٍ ظمـــآنِ[2]

فـــالآنَ حـــينَ قـــدِمتَ عُـــدنَ صُـــرُوفُهُ يَرْمُقْنَنـــــي بِنـــــواظرِ الغِـــــزْلانِ

يا مُنتهـــى الآمـــالِ بـــل يـــا مُحتـــوى الـــ ـــــآجَالِ بـــل يـــا أشـــجعَ الـــشُجعانِ

يا أفـــضلَ الفُـــضَلاءِ بـــل يـــا أعلـــمَ الـــ ـــــعُلماءِ، بـــل يـــا أطعـــنَ الأقْـــرانِ

فالشاعر يشير إلى أهمية هذا القدوم الذي بشر به كل جميل، فهو قدوم هنأ الزمـــان بـــه، ليصبح قدومه كما الغل الذي يحمله المشوق واللهفان إلى موعد اللقاء، ليقابل الشاعر بين الحـــال قبل قدوم ممدوحه، والحال بعد قدومه، فقد كان الدهر قبل مجيئه ضنكاً صعباً، كالأسد المـــصاب بالجوع والعطش، ليتبدل الحال بقدمه، ويصبح الدهر كأنه غزال هادئ، ويخلـــع الـــشاعر علـــى ممدوحه صفات عدة، فهو غاية الأمل، وأشجع الشجعان، وهو الأفضل في كل شيء، لذلك يكثر الشاعر من استخدام صيغ التفضيل.

وهذا عضد الدولة يقدم من سفرة قام بها، فيستقبل أشرف استقبال وأجل رجوع، فتفـــرش الأرض احتفاء بمن قدم، وسط تذلل وإنحناء الرقاب تقرباً لعضد الدولة، لتغدو عز هذه الرقـــاب في تذللها للممدوح، فيقول في ذلك الصابي[3]:

أهـــــلاً بأشـــــرفِ أوبـــــةٍ وأجَلِّهـــــا لأجـــــلِّ ذي قـــــدمٍ يُـــــلاذُ بنعلِهـــــا[4]

فرشـــت لـــك التـــرب التـــي باشـــرتها بـــشفاهِها مـــن كهلِهـــا أو طفلِهـــا

لـــم تخـــطُ فيهـــا خطـــوةً إلاّ وقـــد وَضَـــعتْ لرجلـــك قبلـــة مـــن قبلِهـــا

وإذا تـــــذلّلت الرِّقـــــابُ تقربـــــاً منهـــــا إليـــــك فعزُّهـــــا فـــــي ذلِهـــــا

وللقدوم أشكال مختلفة، تنم عن الخير والسعادة لهذا القدوم المبهج، فيسير الخير بمحـــاذاة من قدم، وتهل الخيرات بإقباله، ومنها ما يصوره محمد بن عبد الله الأخيطل في قـــدوم أحـــدهم،

---

(1) غرر العلى: الغرر مفردها غرة، وهي كل شيء أحسنه.

(2) الساغب: الجائع.

(3) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، المجلد/٤، ص (١٨٢).

(4) أوبة، الرجوع والقدوم، مادة (آب).

بإقبال السحاب المطل، والمحمل بالأمطار الغزيرة، ليقدم الشاعر ممدوحه بأبهى الصور وأعمها للخير، فيقول[1]:

أقدمْ قدمتَ قدومَ عارضِ مُزنةٍ يهتزُ بين أهابها الفضفاض
من كلِّ مثعبة الرِّياح ثقيلةٍ تمشي به مشي الوجى المنهاض[2]
مُسودة مُبيضة فكأنّها وهمٌ مولوعة الشوى ببياض

ويشير الشعراء فيما قدموا من تهاني بالقدوم من السفر، إلى حسن الطالع، واليمن في هذا المجيء الذي يبعث الغبطة والسرور، لينسخ به كل حزن، ويغدو بمقدمه وكأنه قمر يزف، كما يشير إلى ذلك ابن الرومي في قدوم المعتضد بالله، الذي تشد أركان الملك به وتتعاضد، فيقْدم كهبوب النسيم ينشر الروائح الذكية، مطوقاً بالسلامة التي تظلله وتحميه من كل مكروه، فيقول:

قدومُ سعادةٍ وقُفولُ يُمنٍ هي السَّراءُ تنْسخُ كلَّ حُزْنِ
بدا قمرُ البهاءِ يُزفُّ زفاً ورُكّنُ المُلكِ معضوداً بِرُكْنِ
وهبَّ نسيمُه وذكا ثناه فيا لله من طيبٍ وحُسنِ
أظلَّتْهُ السلامةُ ما تغنَّتْ مطوَّقةٌ ترنّم فوق غصن[3]

وهذا محمد بن وهيب الحميري يعبر عن إحساسه تجاه قدوم المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي، بكثرة الدعاء له في غيابه، مشفقاً على حرة غيابه الذي يكتمه، منتقلاً إلى بيان محاسنه من الجود الذي يحل حيثما نزل،والندى الذي يسكن حيثما يقيم، مظهراً مشاعره تجاه ممدوحه بتلك الفرحة التي يحملها قدومه، ولقائه الحميم، فيقول:

وما زلتُ أسترعي لك اللهَ غائباً وأظْهرُ إشفاقاً عليكَ وأكتمُ
وأعلمُ أن الجودَ ما غبتَ غائبٌ وأن النَّدى في حيثُ كنتَ مُخيِّمُ
إلى أن زجرتُ الطيرَ سَعْداً سوانحاً وحُمَّ لقاءٌ بالسعودِ ومَقْدَمُ

(1) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج/١، ص (١٦٥).
(2) مثعبة، متفجرة، مادة (ثعب)، الماء والدم ونحوهما، ثعباً، فجّره فسال.
(3) ابن الرومي، الديوان، ، ج/٦، ص (٢١٢).

فظـــــلّ ينـــــاجيني بمَـــــدْحِكَ خـــــاطرٌ وليلـــــي ممـــــدودُ الـــــرواقين أدهـــــمُ[1]

التهاني بالسلامة من السفر من المناسبات الاجتماعية التي كانـــت ســـائدة فـــي العـــصر العباسي، حيث إن العائد يستقبل بحالة تملؤها الغبطة والسرور، وذلك بعودتـــه ســـالماً معـــافى، ليظهر الشعراء العباسيون معاني حميمة في عودة الغائب، من بيـــان مكانتـــه التـــي يتبوءهـــا، ومحاسنه التي غابت بغيابه، وحضرت بقدومه، مقرنين سلامته بصفاته الحميدة التي يتحلى بها.

التهنئة بالمسكن:

كان العهد العباسي أزهى عصور الحياة العربية، إذ لقيت من جهة قلوبـــاً متعطـــشة إلـــى الرقي، ومن جهة أخرى اندفاعاً ثقافياً جارفاً، وتمازج عنصري كان منه جيل جديـــد ذو أخـــلاق وعادات جديدة، وثروة طائلة تجلت في القصور والملابس والأثاث، كما تجلت في حيـــاة اللهـــو والبذخ[2].

ومن مظاهر هذه الحياة المترفة، والثروة الطائلة، بناء القصور والتفنن بها، حيـــث أكثـــر الخلفاء العباسيون من بناء هذه القصور، والمبالغة بها، حتى أنه يذكر بأن القصور فـــي عـــصر المتوكل قد بلغت عشرين قصراً، وكان كلما بنى قصراً أتبعه بآخر، ومن أســـمائها (الجوســـق، المختار، الجعفري، الغريب، البديع، الصبح، المليح..."، وبلغ ما أنفقه على تلك القصور مـــائتين وأربعة وسبعين مليوناً من الدراهم[3]، كما كان الوزراء أيضاً يعيشون في هذا النعيم نفسه، لمـــا كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة، وإقطاعات، وما كانوا يختلسونه لأنفسهم من أمـــوال الدولـــة، وبطبيعة الحال لا يمكن أن نقول إن هذه الصورة تمثل تماماً طبقات المجتمـــع العربـــي آنـــذاك بجميع أفراده في هذا العصر، ولكنها على أية حال تعطينا فكرة واضحة عن تيار وجد في هـــذا المجتمع، ولعله أثر في أغلبية أفراده على تفاوت هذا التأثير بينهم[4].

---

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية ، مجلد/٤، ص (١٨١).

(2) أنظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص (٥٢٢ – ٥٢٣).

(3) الشابشني، الديارات، كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م، ص (١٥٩).

(4) انظر، أبو الحسن بن هلال الصابئ، الوزراء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الـــستار أحمـــد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م، ص (٢٨٢)، وما بعدها.

ومن القصور التي اشتهر بها الخلفاء العباسيون، ما بناه المعتضد من قصر شامخ كبير، ومن حوله البساتين والرياض، وقد صوره ابن المعتز تصويراً رائعاً، فهو يراه بأنه خير المنازل، معمور بأهله الذين يسكنوه، لا يشبه أي بيت، سواء من فعل البشر، أو ليتعدى إلى صنع الجن، فهو محاط بأنهار تتابع مياهها، لتسقي الحدائق والأشجار والزهور، والطيور مغردة على أشجارها، تتنقل بحرية وأمان، فيقول:

سلمتَ أميرَ المؤمنين على الدّهرِ ... ولا زلتَ فينا باقياً واسعَ العمرِ
حَللتَ الثّرَيّا خيرَ دارٍ ومنزلٍ ... فلا زالَ معموراً وبورك من قصرِ
فليس له، فيما بنى النّاسُ مُشبهٌ ... ولا ما بناهُ الجنُّ في سالفِ الدّهرِ
وأنهارُ ماءٍ كالسلاسلِ فُجّرتْ ... لتُرضع أولادَ الرياحين والزهرِ
جِنانٌ، وأشجارٌ تلاقتْ غصونُها ... فأورَقتْ بالأثمارِ والورقِ الخُضرِ
ترى الطيّرَ في أغصانهنّ هَواتِفاً ... تَنقّلُ من وكرٍ لهنَّ إلى وكرِ[1]

من القصائد الطوال التي قيلت في تهنئة بدار جديدة، ما قاله ابن الرومي يهنئ علي بن محمد بن الغياض بدار بناها، مشيراً إلى مكانتها، والمواد المستخدمة ببنائها، والحدائق من حولها، والتحف بداخلها، فينظر ابن الرومي إلى أهمية هذه الدار فهي مكان أمن واستقرار، شاهد على نبلهم ومجدهم وعلوهم، فيقول:

دارُ أمنٍ وقرارٍ ... واعتلاءٍ واقتدارِ
ومعافاةٍ وشكرٍ ... لا ابتلاءٍ واصطبارِ
منزلٌ يشهدُ بالذ ... نبلِ كبارٍ لكبارِ
لم يزلْ يُبنى بناء الـ ... ـمجدِ مرفوعَ المنارِ
خيرُ دارٍ حلَّ فيها ... خيرُ أربابِ الديارِ[2]

ويبين الشاعر المواد التي استخدمت في بناء هذه الدار، ليدل على فخامتها وعظمتها، فهي مصنوعة من المرمر والتبر، وأخشابها قد جلبت من الهند، وهي مطيبة بعيدان من الطيب،

(1) ابن المعتز، الديوان، ص (٢٩٩).
(2) ابن الرومي، الديوان ، ج/٣، ص (٤٩).

بالإضافة إلى الجبس الذي تم اختياره بعناية حتى غدت هذه الدار مشرقة، كأن ليلها أصبح نهارا، فيقول ابن الرومي[1]:

بُنيت بالمرمر المسـ ـنون والتبر النُّضار
ولُباب الساج لا بل بَيلَنْجوج القَماري[2]
واكتستْ ثوبَ بياضٍ ليلُهُ مثلُ النهار
ذاتُ لمعٍ واتضاح فهي من نورٍ ونار
ألبس الزّرّين والجِـ ـسين من بعد اختيار

ويستمر ابن الرومي في وصفه لهذه الدار، فهي محاطة بالجنان والحدائق فتغدو هذه البساتين مزينة بالزهور والأشجار المثمرة، حتى أغصانها، كأنها أوصال العذارى، ولم يكتف الشاعر بوصف المظهر الخارجي لهذه الدار، وإنما تعدى إلى داخلها، فيصف صحن الدار وما تحويه من ميزات، وما اكتسته من لباس وهيئة حسنة، ومن تنجيد وفرش، وما فيها من تماثيل مختلفة الأشكال والأحجام، ليظهر الشاعر بأن جمال الدار الخارجي لا يقل عن جمالها الداخلي، فهي مكتملة خارجياً وداخلياً، فيقول[3]:

ذات بساتين قد زيـ ـنا بنور وثمار
في غصونٍ ناعمات مثل أوصال العذاري
بمنان كالرَّواسي وصحانٍ كالصَّحاري
وحكاها في سناءٍ ما اكتسته من شوار[4]
نُجِّدَتْ من خير نجدٍ ملكت أيدي التّجار
ذا تماثيل حسان من صغار وكبار

(1) ابن الرومي، الديوان،ج/٣، ص (٤٩-٥٠).
(2) الساج: خشب يجلب من الهند. اليلنجوج : عود الطيب. قمار: موضع في الهند.
(3) ابن الرومي الديوان،ج/٣، ص (٥٠) .
(4) الشوار،اللباس والهيئة الحسنة،مادة(شار).

وتقدم التهاني بالبيوت الجديدة، بالدعاء لأصحابها بنيل السرور والسعادة في الإقامة بهـا، ومنها ما قدمه أبو القاسم عمر بن إبراهيم الزعفراني إلى الصاحب بهذه الدار الجديدة، داعياً لـه بالسرور في منزله الجديد، الذي أصبح وكأنه جنة في هذه الدنيا، متفرداً لا شبيه له، كما يـشير الشاعر إلى متانة هذا البناء وغلو تكلفته، وذلك من خلال ذكر ما استخدم في بنائـه مـن مـواد كالجبص، والرصاص، والحديد، فيقول:

سـرّك اللهُ بالبنـاءِ الجديـدِ نلـت حـالَ الـشكرِ لا المـستزيد
هـذه الـدارُ جنـةُ الخُلـدِ فـي الدّنـ ـيا فـصلها وأختهـا بـالخلود
مـا تـشككت أن رضـوان قـد خـا ن و "لـم يـك" مثلهـا فـي الـصعيد
قـد تـولى الإقبـالُ خدمتَـه فيـ ـها علـى رسـمِهِ كـبعضِ العبيـد
قـال للجـبصِ كُـنْ رصاصـاً ولـلآ جـر لمّـا عـلاه كُـنْ حديـد[1]

ويشير أشجع السلمي إلى جمال قصر بناه هارون الرشيد، وكأنّ الأيام قد نثـرت جمالهـا عليه، مشيراً إلى ناحية مهمة في هذا القصر وذلك بأنه مكان لأعلام الهدى، فيقول:

قـصرٌ عليـه تحيـةٌ وسـلامُ نثـرت عليـه جمالُهـا الأيـامُ
فيـه اجتلـى الـدنيا والتقـتْ للمُلـك فيـه سـلامةٌ وسـلامُ
قـصرٌ سـقوفُ المُـزْنِ دونْ سُـقوفِهِ فيـه لأعـلام الهُـدى أعـلامُ
نـشرت عليـه الأرضُ كـسوتَها التـي نَـسَجَ الربيـعُ وزخـرفَ الأوهـامُ[2]

ومن الشعراء من يقدم رؤية جديدة، حيث يرى بأن التهاني يجب ألا تكون بهـذه الـدور الجديدة، وإنما بفضل أصحابها، وإن المنازل لا تقدم شيئاً حيث المهم ساكنها وما يتمتع بـه مـن صفات ومحاسن تزينه، فيقول أبو علي بن مسكويه مهنئاً ابن العميد بقصر جديد انتقل إليه:

لا يعجبنـك حـسن القـصر تنزلـه فـضيلة الـتعس ليـست فـي منازلِهـا
لـو زيـدتْ الـشمسُ فـي أبراجِهـا شـرفاً مـا زادَ ذلـك شـيئاً فـي فـضائِلِها[3]

(1) الثعالبي، خاص الخاص، ص (٢١٩).
(2) أشجع السلمي، الديوان، ص (٢٥٢).
(3) الثعالبي، خاص الخاص، ص (٢٤٦-٢٤٧).

ويرى المتنبي كذلك أن التهاني تكون في بناء المعالي، لا بناء من المدر والطين، والفخر يكون بالأيام التي مضت، ولم يكن لك فيها دار سوى الحرب والمعركة، وبما أعملت سيفك في رؤوس الأعداء، فهذه الأمور التي يفخر بها، لا بالبيوت، فهذه رؤية جديدة للتهاني بالبيوت، جاءت على أثر طلب كافور الأخشيدي من المتنبي أن يذكر داراً بناها فيقول المتنبي:

إنّما التهنئاتُ لُلأكْفَاءِ ... ولمَنْ يدّني من البُعَداءِ
أنت أعلى مَحَلّةً أن تُهَنَّى ... بمكانٍ في الأرض أو في السماءِ
إنّما يفخرُ الكريمُ أبو المِسْـ ... ـك بما يبتني من العلياءِ
وبأيّامِهِ التي انسلختْ عنْـ ... ـهُ وما دارُهُ سوى الهيجاءِ
وبما أثّرَتْ صَوَارمُهُ البيـ ... ـضُ في جَمَاجِمِ الأعداءِ
لا بما تُبتَنَى الحَواضِرُ في الريـ ... ـفِ وما يَطّبي قُلُوبَ النّساءِ[1]

ويبالغ الشعراء في وصف هذه الدور ومحاسنها، وفخامتها، كما ينظر من قول أبي بكر الخالدي في وصف دار بناها سيف الدولة، واصفاً جدرانها بمطاولة النجوم العالية، وفسحة صحن البيت تتعدى مجال النظر، وحدائقها كأنها أقداح الغواني، فيقول[2]:

غدت دارُ "الأمير" كما رويناـ ... ـ في الأخبارِ عن حُسْنِ الجنَانِ
علتْ جُدرانُها حتى لقُلْنا ... سيقصر عن مداها الفرقدان[3]
وجال الطرّفُ في ميدانِ صحنْـ ... ـ يُردُّ الطرفَ دون مداه وانِ
ترى فيه حدائقَ نظاراتٍ ... تشبههن أقداح الغواني

فالبيوت تدل على ثبات واستقرار، وفيها شيء من هنأ العيش، وراحة البال، وذلك لشعور أصحابها بالأمان على أنفسهم وأهلهم من الأخطار التي قد يدرؤها البيت، سواء أكانت طبيعية أم بشرية، بالإضافة إلى أنه يدل على مكانته بما يملكه من حماية وثبات وعز ووجاهة، لهذا كان

(1) المتنبي الديوان، ج/٢، ص (٨٩٥-٨٩٦).
(2) أبو بكر الخالدي، ديوان الخالدين، تحقيق: سامي الدهان، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص (٩٨).
(3) الفرقدان، نجمان في السماء، مادة (فرقد).

البيت مهماً لدى الناس، فقد قيل: "ليكن أول ما تبتاع وآخر ما تبيع"[١]، وهكذا فقد كان العصر العباسي عصراً مزدهر البنيان، بما أثرت فيه حياة الازدهار والترف، وكثرة الأموال، فقد كان الناس يتباهون ببيوتاتهم الجديدة، وفخامتها، وأصبحت مجالاً لتقديم التهاني لها، والتغالي في وصفها، ووصف مكانة أصحابها، ولم تقتصر التهنئة على الشعر وحده، بل كان للنثر نصيب أيضاً في تقديم التهنئة بهذه المناسبة، ومثالها ما كتب بعض الكتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها "بخير منتقل، وعلى أيمن طائر، ولأحسن إبّان، أنزلك الله عاجلاً وآجلاً خير منازل المفلحين"[٢].

التهنئة بالنجاة من الحوادث:

من المناسبات التي قدمت بها التهاني النجاة من الحوادث التي تعرض لها الشخص، فبعد أن يكون قد كابد المصائب والأخطار التي تعرض لها، وخرج منها سالماً، وبخاصة إن كان من أصحاب السلطة والمكانة العليا، ليقبل عليه الأهل والأصدقاء والشعراء مهنئين بسلامته، معرجين على ذكر محاسنه وفضائله، ومشيدين بأثره، وذلك لبيان أنه أهل لهذه التهنئة.

ومن الحوادث التي خرج منها صاحبها معافى، ما تعرض له الفتح بن خاقان[٣] من غرق، وفيها يهنئ البحتري المتوكل بسلامة الفتح، وبما حباه الله من سعادة زكية، مبيناً أن يد الله عطفت بالسلامة على الفتح، وإلى تصاريف الدهر التي تخطئ وتصيب، وأن من أسباب نجاته بأنه دعا باسم الخليفة المتوكل وهو في خضم الغرق، فكانت عوناً له، ليتعدى الشاعر بذلك ويقسم لو أنه يدعو الخليفة وهو محاط بالخيل لفرجها الله عليه، كما يبين الشاعر رحمة الله في وقع هذه المصيبة، فلولاه لبكوا، وهاجت قلوبهم، لتكون فرحتهم على أثر حزن، خاتماً بالدعاء للخليفة بالبقاء، كما في بقائه سعادة لهم، فيقول[٤]:

هنيئاً أميرَ المؤمنين عطيّةً من اللهِ يزكُو نَيْلُها ويَطيبُ[٥]

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الأول، ص (٣١١).

(2) المصدر السابق نفسه، المجلد الثالث، ص (٦٩).

(3) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، يكنى أبا محمد، أديب وشاعر فصيح، كان فطناً ذكياً، أصله من فارس، استوزره المتوكل، ت (٢٤٧هـ)، الفهرست،ص(١٨٦).

(4) البحتري، الديوان، ج/١، ص (٧٥).

(5) يزكو: ينمو ويزداد، مادة (زكا).

يـــدُ اللهِ فـــي فـــتحٍ إليـــك جميلـــةٌ وإنعامُـــهُ فيـــه عليـــك عجيـــبُ
رَمثـــهُ صُـــروفُ النَّائبـــاتِ فأخطـــأتْ كـــذا الـــدّهرُ يُخطـــئ مـــرّةً ويُـــصيبُ
دعـــا باسْـــمِكَ المنـــصور والمـــوجُ غـــامِرٌ لدعوتِـــهِ والمـــوتُ منـــه قريـــبُ
وأقـــسمُ لـــو يَـــدْعوكَ والخيـــلُ حولـــهُ لفرَّجَهـــا عنـــه أغَـــرُّ نجيـــبُ
فلـــولا دفـــاعُ الله دامـــتْ علـــى البُكـــا عيـــونٌ ولجَّـــتْ فـــي الغـــرامِ قلـــوبُ[1]
فيـــا فرحـــةً جـــاءتْ علـــى إثـــرِ تَرْحـــةٍ وبُـــشرى أتـــتْ بعـــد النَّعـــيّ تَـــؤُوبُ
بقيـــتَ أميـــرَ المـــؤمنين فإنّمـــا بقـــاؤُك حُـــسْنٌ للزمـــانِ وطِيـــبُ

وفي موقع آخر، يهنئ البحتري إبراهيم بن المدبر بتخلصه من أسر الـزنج وهربـه مـع زوجته وأحد غلمانه، حيث يصور الشاعر رفض ممدوحه المساومة مقابل طلب النجاة، لترفعـه عن الدنايا، وبيان ما تعرض له من طعنة أصابته بوجهه، وسط هذه المعركة التي تعثـرت بهـا الخيل بغبارها المرتفع، ليقع أسيراً في يد الزنج، كما يصور الشاعر بطولة الممدوح في فـراره من الأسر متسللاً ليلاً، ليبهرهم باستلاله سيفه الأرقم الذي غدا منساباً علـيهم كالثعبـان، لينقـذ غلامه وزوجته التي غدت مضطربة الخطوات خوفاً، ويضفي الشاعر على ممدوحه عـدة مـن الصفات البطولية والأخلاقية فهو صاحب قدرة وفضل وبأس وأخلاق وأدب، لتثير هذه الأبيـات في مسامع إبراهيم بن المدبر إعجابه بالبحتري معبراً عن ذلك بقوله: "ومدح المأسور شيء مـا راعاه قبله أحد"[2]، ويقول البحتري في تهنئته[3]:

لـــو أنّـــهُ اسْـــتامَ النَّجـــاةَ لنفـــسهِ وجَـــدَ النَّجـــاةَ رخيـــصة الأســـبابِ[4]
وأبيَـــتَ إعطـــاءَ الدَّنيئـــةِ دُونَهـــمْ إنَّ الأبـــيَّ لأنْ يُعَيَّـــرَ آبِ[5]
ومُبينَـــةٍ شَـــهَرَ المُنـــازلُ وَسْـــمِها والخيـــلُ تكْبـــو فـــي العجـــاج الكـــابي[6]

(1) لج: في الأمر، لازمه، وأبى أن ينصرف عنه، تمادى.
(2) التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبد الشالجي، ج٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص (١٨).
(3) البحتري، الديوان، ج١، ص (١٣١).
(4) استام، من السوم، وهو السؤال عن الثمن، مادة (سام).
(5) الأبي، المترفع، آب: كاره، مادة (أبى).
(6) الكابي، المرتفع، مادة (كبا).

كانـــت بوجهـــكَ دُونَ عِرضِـــكَ إذ رأوْا أن الوُجُـــــوهَ تُـــــصانُ بالأحـــــسابِ

ولئِنْ أسِـرْتَ فمـا الإسـارُ علـى امْـرئٍ نـصر الإسـار علـى الفـرار بعـابِ[1]

نـام المُـضلَّلُ عـن سُـراكَ ولـم يَخَـفْ سِـــنَة الرَّقيـــبِ ونـــشْوَةَ البَـــوَّابِ

مـــا راعَهُـــمْ إلا امْتِراقـــكَ مُـــصلْتاً مـــن مِثْـــلِ بُـــرْدِ الأرْقَـــمِ المُنْـــسابِ[2]

تحْمـــي أغْيلِمَـــة وطائـــشة الخُطـــى تَـــصِلُ التَّلَفُّـــتَ خـــشية الطُّـــلابِ

قـــد كـــان يـــوم نـــدى بطولِـــك راهـــنٌ حتـــى أضـــفت إليـــه يـــوم ضِـــرابِ

ذِكـــرٌ مـــن البـــأسِ اســـتعرتَ إلـــى الـــذي أعطيـــــتَ فـــــي الأخـــــلاقِ والآدابِ

أشار الشعراء بالتهنئة بالنجاة من الحوادث، إلى تلك الأخطار التي تعرض لها ممدوحوهم، ومكابدتهم فيما لقوه من هول المعاناة، مظهرين رعاية الله لهم، وتلطفه، كما أنّهم يشيدون ببطولاتهم وإصرارهم على نيل السلامة، متخذين من هذه المناسبة فرصة للتعريج على محاسن ممدوحيهم وصفاتهم.

(1) عاب: عائب، مادة (عاب).

(2) الامتراق، الاستلال، مادة (مرق).

الخاتمة:

مما تقدم في هذا البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج يمكن الحديث عن أهميتها فيما يأتي:

أولاً: لم تكن التهاني من الأقسام التي كانت العرب تصوغ منها شعراً، ومما جاء من شكلها شئ فهي معدودة من جملة المديح.

ثانياً: ساعدت المناسبات الدينية ، كالعيدين، وموسم رمضان، والحج، على نمو شعر التهاني في عصر صدر الإسلام .

ثالثاً: ازدهر شعر التهاني في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً، بفضل عوامل سياسية، ودينية، واجتماعية.

رابعاً: حمل شعر التهاني دلالات عميقة تتيح قراءة المجتمع العباسي من وجهات مختلفة : سياسية، ودينية واجتماعية .

خامساً: يمثل هذا النوع من الشعر(شعر التهاني) ملمحاً جديداً من ملامح التطور في العصر العباسي .

سادساً:عبر شعر التهاني عن مضامين جديدة في الأدب العربي، اختلطت بالظلال السياسية والاجتماعية والدينية .

سابعاً: من الأحوال التي تكررت كثيراً في الشعر، اقتران التهاني بمدائح الخلفاء، والأمراء، والقادة، والأصدقاء.

ثامناً: تبدو الألفاظ والمعاني التي قيلت في شعر التهاني، تحمل معاني ودلالات، توشك أن تكون واحدة في إبرازها لمعالم الفرح والسرور .

تاسعاً: إقتران كثير من التهاني بالهدايا، لما لها من أثر في إحداث المودة وإثراء روح المحبة بين الناس.

عاشراً: إن الأشعار التي قيلت في التهاني، تميل إلى الرقة،والليونة، والسهولة، واليسر في التعبير،كما أنها حفلت بالتصوير، والابتكار في المعاني والصور .

الحادي عشر: يعبر كثير من شعر التهاني عن عواطف الإنسان ودفقاته الشعورية ومشاعره الإنسانية تجاه الأخرين .

الثاني عشر: نضجت ظاهرة الجمع بين التعزية والتهنئة في العصر العباسي، لتصور مناقب من مات، ومحاسن من أتى .

الثالث عشر: بروز ظاهرة ما تسمى بـ(شواذ التهاني)،وهو لون من ألوان التهاني-لا يكاد ينبي-ولو على نحو-بمعنى الفرحة والسرور في نفس صاحب المناسبة،ومع ذلك يسعى بعض أصدقائه في محاولة إقناعه أن ما طاله إنما يدعو في حقيقة الأمر إلى التهنئة،كأن يهنئه بالعزل عن العمل.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر

١. **القرآن الكريم**

٢. الأبشيهي، شهاب الدين محمد أحمد، (ت٨٥٠ه/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، شرح:مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣ه/١٩٩٣م.

٣. إبراهيم الصولي، إبراهيم بن العباس الصولي، (ت٢٤٧ه/ ٨٦١م)، الديوان، تحقيق:أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

٤. ابن الاثير، أبو الحسن، عز الدين علي بن أبي المكارم، (ت٦٣٠ه/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م.

٥. أشجع السلمي، أشجع بن عمرو السلمي، (ت٢٠٢ه/٨١٧م)، الديوان، خليل بنيان الحسون، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٤٠١ه/١٩٨٠م.

٦. البحتري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى، (ت٢٨٤ه/٨٩٧م)، الديوان، محمد التونجي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤ه/١٩٩٤م.

٧. البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، (ت٢٥٦ه/٨٦٩م)، رقم كتبه وأبوابه:محمد نزار، وهيثم نزار، د.ط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه/١٩٩٥م.

٨. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (ت٢٣١ه/٨٤٥م)، الديوان، محي الدين صبحي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروي، لبنان، ١٤١٣ه/١٩٩٧م.

٩. التنوخي، أبو علي، المحسن بن علي، (ت٣٨٤ه/٩٩٤م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م.

١٠.الثعالبي، أبو منصور، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، (ت٤٢٩ه/١٠٣٧م)، خاص الخاص، شرح وتعليق:مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤ه/١٩٩٤م.

١١.الثعالبي، لباب الآداب، تحقيق:أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.

١٢.الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق:مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ه/١٩٨٣.

١٣.الثعالبي، الديوان، تحقيق:محمود عبدالله الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

١٤.الثعالبي، اللطائف والظرائف، الطبعة الأولى، دار المناهل، بيروت، ١٤١٢ه/١٩٩٢م.

١٥.الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت٢٥٥ه/٨٦٨م)، المحاسن والأضداد، نشره:عاصم عتياني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٤٠٦ه/١٩٨٦م .

١٦.جحظة البرمكي، أبو الحسن، أحمد بن جعفر بن برمك، (ت٣٢٤ه/٩٣٥م)، الديوان، تحقيق:جان عبدالله توما، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

١٧.الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي القيرواني، (ت٤٥٣ه/١٠٦١م)، زهر الآداب وثمار الألباب، زكي مبارك، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

١٨.الحسين بن الضحاك، أبو علي البصري، (ت٢٠٥ه/ ٨٢٠م)، الديوان، تحقيق:جليل العطية، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، بغداد، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

١٩. الحلاج، أبو المغيث، الحسين البيضاوي، (ت٣٠٩ه/٩٢٢م)، الديوان، أبو طريف الشيبي، الطبعة الثانية، بغداد، ١٤٠٤ه/١٩٨٤م.

٢٠.ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد، (ت٥٦٢ه/١١٦٧م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق:احسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

٢١.الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت ٦٢٦ه/١٢٢٨م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

٢٢.الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار القرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٣ه/١٩٩٣م.

٢٣.الخالديان، أبوبكر محمد الخالدي، (ت٣٨٠ه/٩٩٠م)، ديوان الخالدين، تحقيق:سامي الدهان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢ه/١٩٩٢م.

٢٤.ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، (ت٨٠٨ه/١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، د.ت.

٢٥.ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١ه/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م.

٢٦.دعبل الخزاعي، دعبل بن علي بن رزين، (ت٢٤٦ه/٨٦٠م)، الديوان، تحقيق:عبد الصاحب عمران الدجيلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٢ه/١٩٧٢م.

٢٧.الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، (ت٥٠٢/١١٠٨م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق:رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م.

٢٨.ابن رشيق القيرواني، أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني، (٤٥٦ه/١٠٦٤م)،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠١ه/١٩٨١م.

٢٩.ابن الرقاع، عدي بن القاع العاملي، (ت١٠٢ه/ ٧٢٠م)، الديوان، تحقيق:الشريف عبدالله الحسيني البركاني، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ط، ١٤٠٦ه/١٩٨٥م.

٣٠.ابن الرومي، أبو الحسن، علي بن العباس، (ت٢٨٣ه/٨٩٦م)، الديوان، تحقيق:عبد الأمير علي مهنا، الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال بيروت،لبنان،د.ت.

٣١.الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، (ت٥٣٨ه/١١٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تحقيق:سليم النعيمي، الطبعة الأولى، دار الذخائر، قم، إيران، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

٣٢.الزوزني، أبو، محمد، عبدالله بن محمد، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق:محمد بهي الدين، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.

٣٣.ابن الزيات، محمد بن عبد الملك الزيات، (ت٢٣٣ه/ ٨٤٧م)، الديوان، تحقيق:يحيى الجبوري، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ١٤٢٣ه/٢٠٠٢م.

٣٤.السري الرفاء، أبو الحسن، السري بن أحمد الكندي، (ت٣٦٢ه/٩٧٢م)، الديوان، تحقيق:كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ه/١٩٩٦م.

٣٥.سلم الخاسر، سلم بن عمرو، (ت١٨٦ه/٨٠٢م)، الديوان، تحقيق:نايف محمود معروف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م.

٣٦.الشابشتي، أبوحسن، علي بن محمد، الديارات، كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٦٦ه/١٩٦٦م.

٣٧.- الشريف الرضي، (ت٤٠٦ه/ ١٠١٥م)، الديوان، محمود مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤١٩ه/١٩٩٩م .

٣٨.الشريف المرتضى، (ت٤٣٦ه/ ١٠٤٤م)، الديوان، تحقيق:رشيد الصفار، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م.

٣٩.الصابئ، أبو الحسن بن هلال، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٢ه/١٩٥٨م.

٤٠.الصاحب بن عباد، (ت٣٨٥ه/٩٨٥م)،الديوان، تحقيق:الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٣٩٤ه/١٩٧٤م.

٤١. الصنوبري، أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحسن، (ت٣٣٤ه/٩٤٥م)، الديوان، تحقيق:إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه/١٩٩٧م.

٤٢.الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى، (ت٣٣٦ه/٩٤٧م)، أخبار الشعراء، المسمى كتاب الأوراق، جمعه:ج هيوارث، د.ن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م.

٤٣.الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ج، هيورث، د.ن، الطبعة الثانية، دارالمسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ه/١٩٧٩م

٤٤. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت٣١٠ه/٩٢٢م)، تاريخ الطبري، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١ه/١٩٩١م.

٤٥. طريح الثقفي، أبو الصلت، طريح بن إسماعيل الثقفي، (ت١٦٥ه/ ٧٨١م)، الديوان، تحقيق:بدر أحمد ضيف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٨ه/١٩٨٧م.

٤٦. العباسي، عبد الرحيم بن علي، (ت٩٦٣ه/١٥٥٥م)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.

٤٧. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت٣٢٨ه/٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق:أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٦٨ه/١٩٤٩م.

٤٨. أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، (ت٢١١ه/٨٢٦م)، الديوان، مجيد طراد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥ه/١٩٩٥م.

٤٩.العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، (ت٣٩٥ه/١٠٠٤م)، ديوان المعاني، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤١٠ه/١٩٨٩م.

٥٠.العسكري، الديوان، تحقيق:جورج قنازع، المطبعة التعاونية، دمشق، د.ط.١٤٠٠ه/١٩٧٩م.

٥١.علي بن جبلة العكوك، (ت٢١٣ه/٨٢٨م)، الديوان، تحقيق:زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٣٩١ه/١٩٧١م.

٥٢.علي بن الجهم، أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر القرشي، (ت٢٤٩ه/٨٦٣م)، الديوان، تحقيق:خليل مردم بك، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ه/١٩٨٠م.

٥٣.أبو الفتح البستاني، علي بن الحسين البستتي، (ت٤٠٠ه/١٠٠٩م)، الديوان، تحقيق:دراية الخطيب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠ه/١٩٨٩م.

٥٤.أبو فراس الحمداني، أبو فراس الحارث بن حمدون، (ت٣٥٧ه/٩٦٨م)، الديوان، سامي الدهان، بيروت، لبنان، ١٣٦٣ه/ ١٩٦٣م.

٥٥.أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ه/١٩٧٥م.

٥٦.ابن قتيبة، أبو محمد، عبدالله بن مسلم الدينوري، (٢٧٦ه/٨٨٩م)، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.د.ت.

٥٧.ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق:محمود قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م .

٥٨.القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي، (ت٨٢١ه/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م.

٥٩. كشاجم، أبو الفتح، محمود بن الحسين، (ت٣٦٠ه/٩٧٠م)، الديوان، تحقيق:عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.

٦٠.المبرد، أبوالعباسي، محمد بن يزيد، (ت٢٨٥ه/٨٩٨م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق:محمد أحمد الدالي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ه/١٩٨٦م.

٦١.المتنبي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين بن مرة، (ت٣٥٤ه/٩٦٥م)، الديوان، تحقيق:عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت.

٦٢.مروان بن أبي حفصة، مروان بن أبي الجنوب، (ت١٨١ه/ ٧٩٧م)، الديوان، أشرف أحمد عدرة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.

٦٣.المسعودي، ابو الحسن، علي بن الحسين، (ت٣٤٦ه/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق:قاسم الشماعي الرفاعي،الطبعة الأولى،دار القلم،بيروت،لبنان، ١٤٠٨ه/١٩٨٩م.

٦٤.مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (٢٦١ه/٨٧٤م)، صحيح مسلم، تحقيق نصوصه:محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٦٥.ابن المعتز، أبو العباس، عبدالله بن العباس بن المتوكل، (ت٢٩٦ه/٩٠٨م)، الديوان، تحقيق:يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٥ه/١٩٩٥م.

٦٦.ابن المعتز، طبقات الشعر والشعراء، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٣٦٨ه/١٩٦٨م.

٦٧.ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، (ت٧١١ه/١٣١١م)، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

٦٨.مهيار الديلمي، (ت٤٢٨ه/١٠٣٧م)، الديوان، روائع التراث العربي، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، د.ت.

٦٩.النمري، منصور بن الزبرقان، (ت١٩٠ه/٨٠٦م)، الديوان، تحقيق:الطيب العشاش، دار المعارف، دمشق، ١٤٠١ه/١٩٨١م.

٧٠.أبو نواس، الحسن بن هاني، (ت١٩٨/٨١٣م)، الديوان، تحقيق:أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

٧١.النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣ه/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق:يحيى الشامي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ه/٢٠٠٤م.

٧٢.الوشاء، أبو الطيب، محمد بن إسحاق، (٣٢٠ه/٩٣٦م)، الظرف والظرفاء، دار صادر، د.ط، د.ت.

ثانيا: المراجع

١. الأطرقجي، واجدة مجيد، المرأة في أدب العصر العباسي،دار الرشيد،منشورات وزارة الإعلام،بغداد،١٤٠٢ه/١٩٨١م.

٢. أبو الأنوار، محمد، نهضة الشعر العباسي وتطوره، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.

٣. أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٢ه/١٩٧٢م.

٤. أيوب، إبرهيم، التاريخ العباسي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٩ه/١٩٨٩م .

٥. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام ، الطبعة الثالثة عشرة، دار الجيل، ، بيروت، لبنان، ١٤١١ه/١٩٩١م .

٦. خفاجي، محمد عبد المنعم، رسائل ابن المعتز، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، ١٣٦٥ه/١٩٤٦م.

٧. الدروبي، محمد محمود، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٠ه/١٩٩٠م.

٨. درويش، حسن، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٤٠٩ه/١٩٨٩م .

٩. السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، ١٤٠٣ه/١٩٨٠م.

١٠. السامرائي، يؤنس أحمد ، شعراء عباسيون ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية، ١٤١٠ه/١٩٩٠م .

١١. سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر العباسي منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، دار المعارف، د.ط، د.ت .

١٢. صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

١٣. الصياد، فؤاد عبد المعطي، النوروز وأثره في الأدب العربي، جامعة بيروت العربية، ١٣٩٢ه/١٩٧٢م .

١٤. ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٩٣ه/١٩٧٣م.

١٥. عابدين، سامي، قصر المأمون وأثره على العصر، الطبعة الأولى، دار النضة العربيـــة، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م.

١٦. عبد الفتاح، سيد صادق، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، الطبعة الأولى، القـــاهرة، ١٤١٤ه/١٩٩٤م .

١٧. العش، يوسف، الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، ، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه/١٩٩٧م .

١٨. الفاخوري، حنا، الجامع فـــي تـــاريخ الأدب العربـــي، دار الجيـــل، بيـــروت، لبنـــان، ١٤٠٦ه/١٩٨٦م.

١٩. الكردي، إبراهيم سليمان، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، مركز الإســـكندرية للكتاب، د.ط، د.ت.

٢٠. المحاسني، زكي، شعر الحرب في أدب العرب، الطبعة الثانية، دار المعارف، مـــصر، د.ت.

٢١. الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، الطبعـــة الثلاثـــون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

The study abstract

I introduced in this study congratulations poetry in Abasian age until the end of the fourth century as an objective study. The congratulations was not from the parts which the Arab was forming from it a poetry till it flourished and ripped in the Abasian age. It became a way from its great ways in expressing about the humane spirit which has between its underlines a lot of meanings which are: Fraternity، companionship and fidelity.

This study had become in an introduction and three chapters، So، the introduction talked about the stages of developing congratulation poetry، its religious، social and political meanings besides to congratulations، concept and its parts. The first chapter talked about the political element in congratulations poetry such as: the victories of war against enemies and administrative positions.

The second chapter talked about the religious element in congratulations poetry which had included the congratulations in the Islamic feasts، pilgrimage and Ramadan and also the non-Islamic feasts such as: the Persian and Christian feasts.

The third chapter talked about the social element in congratulations poetry such as: the congratulations in Marriage، delivering a baby، healing from disease، and escaping from accidents.

This study had found a number of results such as: the congratulation poetry flourished in the Abasian age a great flourishing because of religious، social and political factors. The congratulation poetry had deep meanings which had given us the ability to read the Abasian society from different pointriews such as: political، religious and social ones.

The poems which had said in congratulations inclined to gentleness، easiness and tenderness in expression. It had included a lot of congratulation poetry with gifts for what it has a great effect in making undulation and increasing the lovely spirit among people.